الاستِشْفَاءُ بِالمَاءِ

فِي ضَوءِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُطَهَّرة

د/ أسامة أمين سيد بدوي

مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة

الاستشفاء بالماء في ضوء السنة النبوية المطهرة

أسامة أمين سيد بدوي.
قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: osamatay3@gmail.com

الملخص:

الماء هو نبض الحياة الدائم، وشريانها الذي لا ينقطع، فمن الماء تكونت الخلية الأولى للحياة، وبه استدامت واستقامت، بطريقة معجزة أصبحت سرًّا من أسرار هذا الكون، وقد تعددت طرق الانتفاع به، ومن هذه الطرق: الاستشفاء والتداوي به لكثير من الأمراض، وهذه الدراسة تسليط للضوء حول هذه الناحية المهمة في ضوء السنة النبوية، التي رأيت فيها من طرق الاستشفاء المختلفة كماء زمزم، والإبراد بالماء للمحموم، والاغتسال للعائن، وماء الوضوء، وماء الكمأة، وغير ذلك مما يستحق التأصيل والتوضيح. وقد اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وفصلين، وخاتمة، ثم فهرس المصادر والموضوعات. أما المقدمة ففيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأما الفصل الأول: عناية السنة النبوية بالماء، والاستشفاء به عبر الزمان. وفيه مبحثان: المبحث الأول: عناية السنة النبوية بالماء. والمبحث الثاني: الاستشفاء بالماء عبر الزمان. وأما الفصل الثاني: طرق الاستشفاء بالماء وأنواعها، وفيه ثمانية مباحث، أما المبحث الأول: الاستشفاء بماء زمزم. والمبحث الثاني: الاستشفاء بالاغتسال والصب من ماء العائن. والمبحث الثالث: الاستشفاء بالرقية بالماء. والمبحث الرابع: الاستشفاء بالإبراد بالماء للمحموم. والمبحث الخامس: الاستشفاء بماء الوضوء. والمبحث السادس: الاستشفاء بالماء مخلوطا بغيره. والمبحث السابع: الاستشفاء بماء الكمأة.

والمبحث الثامن: الاستشفاء بالماء من الخطايا والذنوب. والخاتمة بها أهم نتـــائج هذا البحث، ثم فهرس المصادر والموضوعات.

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج التحليلي – والتوثيقي.

النتائج: قيمة نعمة الماء الكبرى التي جعلها الله سبحانه آية على عظمتـــه وقدرته، وأنموذجًا على حكمته ودقة صنعته. استخدام الماء للشفاء في الأحاديث النبوية لكثير من الأمراض الظاهرة والباطنة. استعمال الماء كطريقة للشفاء في العصور القديمة والحديثة. تأثير الماء الإيجابي في العلاج من أمراض الســموم والحمى والأمراض النفسية والجلدية وغيرها. قد سجل العلــم الحــديث بآلاتــه وإمكاناته صدق ما ألمحت إليه الآيات القرآنية وما أنبئت عنه الأحاديث النبويــة من تأثير للماء في الشفاء.

الكلمات المفتاحية: شفاء، ماء، ضوء، سنة.

Hospitalization with water in the light of the purified Sunnah of the Prophet

Osama Amin Sayed Badawi .

Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Email: osamatay3@gmail.com

Abstract :

Water is the permanent pulse of life, and its artery that does not stop, from water the first cell of life was formed, and with it it was sustained and straightened, in a miraculous way that became a secret of the secrets of this universe, and there have been many ways to benefit from it, and these methods include: hospitalization and treatment for many diseases, and this study sheds light on this important aspect in the light of the Sunnah of the Prophet, in which I saw different methods of hospitalization such as Zamzam water, cooling with water for the feverish, washing for the helper, ablution water, truffle water, and other things that deserve rooting and clarification. This research included: an introduction, two chapters, a conclusion, and then an index of sources and topics. As for the introduction, it includes: the importance of the topic and the reasons for choosing it, and the first chapter: the care of the Sunnah with water, and healing with it through time. It has two sections: The first topic: the care of the Sunnah of the Prophet with water. The second topic: healing with water through time. As for the second chapter: methods of healing with water and their

types, and it contains eight sections, The first topic: hospitalization with Zamzam water. The second topic: hospitalization by washing and pouring from the water of the helper. And the third topic: hospitalization with ruqyah with water. And the fourth topic: hospitalization by cooling with water for the feverish. And the fifth topic: healing with ablution water. And the sixth topic: hospitalization with water mixed with others. And the seventh topic: hospitalization with truffle water. And the eighth topic: healing with water from sins and sins. The conclusion contains the most important results of this research, then an index of sources and topics.

Methodology: In this research, the analytical and documentary approach was followed.

Results: The value of the great blessing of water that God Almighty has made a sign of His greatness and power, and an example of His wisdom and precision of workmanship. The use of water for healing in the hadiths of the Prophet for many apparent and internal diseases. The use of water as a method of healing in ancient and modern times. The positive effect of water in the treatment of toxicology, fever, psychiatric and skin diseases and others. Modern science, with its machines and capabilities, has recorded the truth of what the Qur'anic verses alluded to and the prophetic hadiths predicted about the effect of water on healing.

Keywords: healing, water, light, year.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على سيد المرسلين، ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

أهمية الموضوع: يقول الله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

الماء هو نبض الحياة الدائم، وشريانها الذي لا ينقطع، الحياة التي لا تقف عند حدود أو جغرافيا كائن دون آخر، بل الحياة التي تعدت حدود الإنسان، والحيوان، والنبات، لتصل إلى كل ما يمكن أن يوصف بالحياة، من كائنات نعلمها وأخرى علمها عند الله!

ومن الماء تكونت الخلية الأولى للحياة لهذه الكائنات، وبه استدام وجودها، واستقامت حياتها، بطريقة معجزة أصبحت سرًّا من أسرار هذا الكون، فهو أصل الوجود، والوسيطُ الوحيدُ الذي يحملُ الأملاحَ والموادَّ الغذائيةَ إلى الكائنات الحيّة، ولولاه لَمَا كان على وجهِ الأرضِ حياةٌ. فعندما تلقّت الخلية الأولى إذنها من الله تعالى بالوجود أصبحت قادرة على مواجهة مخاطر الحياة، بعد أن كانت ميتة لا ذكر لها ولا مناداة، حيث قال تعالى:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾. [البقرة: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن

مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾[النور: ٤٥].

بل والماء هو السائل الذي أودع الله تعالى فيه خصيصة لا توجد في غيره، هي خصيصة التمدد والانكماش، فالماء إذا برَّدْتهُ ينكمشُ، شأنهُ في ذلك كشأنِ كلّ العناصرِ التي على وجهِ الأرضِ، (الغازات، والسوائل، والأجسامِ الصلبةِ) فكلّ هذه العناصرِ التي خَلَقَها اللهُ سبحانه وتعالى تتمدّدُ بالحرارةِ، وتنكمشُ بالبرودةِ.. هذه الخصيصةُ التي أوْدَعَها اللهُ في الماءِ هي التي تجعلُ الحياةَ مستمرّةً على وجْهِ الأرض، فإذا تجمّدتِ المحيطاتُ كان هذا التجمّد باعثاً على ازديادِ حجمِ الماءِ، وإذا ازدادَ حجمهُ قلَّتْ كثافتهُ، وإذا قلَّتْ كثافتهُ طَفَا على وجْهِ الماءِ، فلو ذهبْنَا إلى المحيطاتِ المتجمّدةِ في القطبين لَرَأَيْنا التجمّدَ في الطّبقةِ السّطحيّةِ، وأمَّا في أعماق البحرِ فالمياهُ سائلةٌ تَسْبَح فيها الكائناتُ الحيّةُ كما لو أنّها في أماكنَ أخرى![1].

ولما كان الماء بهذه المثابة، فقد كان الإسلام سبّاقًا إلى بيان فضله وأهميته، مشدِّدًا على العناية به عناية بالغة، مؤصّلًا لتوفيره بين الخلائق بمرتبة متساوية عادلة، جاعلًا حق الانتفاع به مشاعًا، والتصدق به قربةً. ومن هنا فقد تعددت طرق الانتفاع به والتي منها: الاستشفاء -أي طلب تحصيل الشفاء والتداوي به- في السنة النبوية المطهرة؛ حفظًا لأصل الوجود، وتأصيلًا لبيان مكانته وأهميته، واستجابة لهديه صلى الله عليه وسلم في التداوي، فعن أَبِي

(١) ينظر بتصرف: «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» محمد راتب النابلسي (١٠٨/٢)، و«العلاج بالماء» د/محمد السقا عيد، استشاري طب وجراحة العيون عضو الجمعية الرمدية المصرية وعضو بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. (ص١٠) بحث منشور على صفحات موقع الألوكة بتاريخ ١١-٩-٢٠١٣م.

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»(١). وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢). وهذه الدراسة تسليط للضوء حول هذه الناحية المهمة التي رأيت فيها ما يستحق التأصيل والتوضيح، ونسأل الله الإخلاص والقبول في المكتوب والمنقول.

وقد كان من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع ما يلي:

- أهمية الحديث عن الماء وطرق الانتفاع به، وسبل المحافظة عليه في الوقت الراهن، نظرًا لحاجة المجتمعات المُلحّة إلى الاستفادة من المياه؛ لكون الاحتفاظ بها من أسباب القوة في العصر الحديث.
- إحياء سنة الاستشفاء بالماء، وبيان فوائدها، والاشارة إلى توافقها مع المعطيات العلمية الحديثة.
- بيان طرق الاستشفاء بالماء، وأنواعها في السنة النبوية المطهرة، وسلامة هذه الطريقة الإلهية في صحة نتائجها، وسهولة تطبيقها.
- تسليط الضوء على معايشة السنة النبوية للحياة الإنسانية، والاستفادة من كنور السنة المطهرة في حل مشكلات العالم اليوم.

الدراسات السابقة: لم أقف حسب اطلاعي حين كتابة هذه الدراسة على من أفرد مصادر الاستشفاء بالماء وطرقه في السنة النبوية كدراسة أكاديمية مستقلة،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء (١٢٢/٧ ح٥٦٧٨).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (١٧٢٩/٤ ح٢٢٠٤-٦٩).

وإن كانت عناصرها منثورة في مصادر السنة النبوية، لكني وقفت على بعض الدراسات المتعلقة بقضية الماء عامة، ومن هذه الدراسات:

١- استراتيجيات إدارة الطلب على الماء وآثارها في ضوء السنة النبوية، إعداد/ د أسماء محمد أمين، بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية بالمدينة المنورة، العدد ١٩٨، صفر ١٤٤٣هـ. ويهتم البحث ببيان مفهوم استراتيجية إدارة الطلب المائي ومظاهر عناية السنة بها، وأهم توجيهات السنة لتحقيق هذه الاستراتيجية.

٢- الهدي النبوي في حماية الماء من التلوث وأثره في المحافظة على البيئة، علي مصطفى علي القضاة، منشورات مجلة علوم الشريعة والقانون الجامعة الأردنية، كلية عجلون الجامعية، المجلد ٤٦، العدد ١، ٢٠١٩م.

٣- سلوك التعامل مع نعمة الماء د/ نادي عبد الله محمد، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، المجلد ٣٠، العدد٢ (ص٤٢٧-٤٧٨).

وقد تناولت هذه الدراسات موضوع الماء من حيث طرق المحافظة عليه، وأثر ذلك على البيئة، وقد أفدت منها، كما وقفت على بعض المنشورات غير الأكاديمية التي تتعرض لقضية العلاج بالماء لكنها تركز على النواحي العلمية والطبية كما هو موضح في مراجع البحث، وقد تميزت دراستي هذه بتسليط الضوء على طرق الاستشفاء بالماء في السنة النبوية، وهو ما خلت منه الدراسات السابقة.

وقد اتبعت في منهجي هذا المنهج التحليلي[١] والتوثيقي[٢]، وذلك من خلال إيراد الأحاديث النبوية المتعلقة بأنواع الاستشفاء بالماء، ثم تخريجها من الصحيحين أو أحدهما إن وجدت، وإلا فمن أشهر مصادرها أو أصحها إن كانت خارج الصحيحين، ودراسة أسانيد الأحاديث التي هي خارج الصحيحين دراسة مجملة بذكر خلاصة حال كل راو، والحكم على الحديث في نهاية الدراسة، مع بيان موجز للشرح الأمثل لهذه الأحاديث عند السادة المحدثين، وربط ذلك بالعلوم الطبية الحديثة قدر الإمكان، والتعليق على ذلك فيما يحتاج إلى تعليق أو توضيح، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية، وضبط وبيان ما يشكل من الأسماء أو الكنى أو الأنساب، والأماكن، وغريب الكلمات، وغيرها.

خطة البحث: وقد اشتمل هذا البحث على: مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهرس للمراجع وآخر الموضوعات.

أما المقدمة ففيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث والمنهج المتبع فيه.

وأما الفصل الأول: عناية السنة النبوية بالماء، والاستشفاء به عبر الزمان. وفيه مبحثان: المبحث الأول: عناية السنة النبوية بالماء. والمبحث الثاني: الاستشفاء بالماء عبر الزمان.

---

(١) وهو ما يتعلق بسرد مفردات البحث بأسلوب علمي منظم، مستخلصا فيه النتائج بدقة ومنهجية منظمة. ينظر: «أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية» د/ فريد الأنصاري (ص: ٩٦) بتصرف.

(٢) أي ربط قضايا ومسائل البحث بمصادرها التي أخذت منها، ونقد ما يلزم نقده منها. ينظر: «المكتبات والمعلومات والتوثيق أسس علمية صحيحة ومدخل منهجي عربي» د/ سعد محمد الهجرسي (ص: ٢١٦).

وأما الفصل الثاني: طرق الاستشفاء بالماء وأنواعها، وفيه ثمانية مباحث، المبحث الأول: الاستشفاء بماء زمزم. والمبحث الثاني: الاستشفاء بالاغتسال والصب من ماء العائن. والمبحث الثالث: الاستشفاء بالرقية بالماء. والمبحث الرابع: الاستشفاء بالإبراد بالماء للمحموم. والمبحث الخامس: الاستشفاء بماء الوضوء. والمبحث السادس: الاستشفاء بالماء مخلوطا بغيره. والمبحث السابع: الاستشفاء بماء الكمأة. والمبحث الثامن: الاستشفاء بالماء من الخطايا والذنوب. والخاتمة بها أهم نتائج هذا البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

والله تعالى أسأل أن يرزقنا الإخلاص والقبول، ويغفر لنا ما يكون من تقصير أو خطأ أو نسيان، فهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
عناية السنة النبوية بالماء والاستشفاء به عبر الزمان
المبحث الأول : عناية السنة النبوية بالماء:

تتضح نظرة السنة النبوية ومدى عنايتها بنعمة الماء من خلال هذه العوامل الرئيسة:

أولا: النهي عن الإسراف في الماء:

من عناية السنة النبوية بالماء المحافظة عليه، إدراكًا لأهميته البالغة في أمور الحياة، والإسراف تجاوز لحد الاعتدال في الاستعمال، وهو ممنوع في كل أمر عامة، وفي استعمال المياه خاصة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا السَّرَفُ**» فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ، قَالَ: «**نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٣٦/١١ ح٧٠٦٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ حُيَيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي رضي الله عنهما، فذكره. وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (١٤٧/١ ح٤٢٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، به بلفظه.

قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ: هو قُتَيْبَةُ بن سعيد بن جَمِيلِ بن طَرِيفِ بن عبد الله الثَّقَفِيُّ، وخلاصة حاله: أنه ثقة ثبت. ينظر: «الطبقات الكبرى»: (٣٧٩/٧)، و«الكاشف»: (٤٥٥٥/١٣٤/٢)، و«تهذيب التهذيب»: (٦٤١/٣٢٢/٨)، و«التقريب»: (ص: ٤٥٤/برقم: ٥٥٢٢).

ابْنُ لَهِيعَةَ: هو عبد الله بن لَهِيعَةَ بن عُقْبَةِ بن فُرْعَان بن ربيعة بن ثَوْبَان الحَضْرَمِيُّ، أبو عبد الرحمن المصري، الفقيه، القاضي. وخلاصة حاله كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: صدوق، خَلَّطَ بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك، وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في مسلم بعض شيء مقرون. تُوفِيَ سنة ١٧٣هـ، أوسنة ١٧٤هـ ينظر: التاريخ الكبير»: (٥٧٤/١٨٢/٥)، و«الجرح والتعديل»: (٦٨٢/١٤٥/٥)، و«الكاشف»: (٢٩٣٤/٥٩٠/١)، و«ميزان الاعتدال»: (٤٥٣٥/١٦٦/٤)، و«تاريخ الإسلام»: (٢١٧/١١)، و«سير أعلام النبلاء»: (٤/١١/٨)، و«تهذيب التهذيب»: (٦٤٨/٣٢٧/٥)، و«تقريب التهذيب»: (ص: ٣١٩برقم: ٣٥٦٣).

حُيَيّ بْن عَبْدِ اللَّهِ: هو حيي بن عَبد الله بن شريح المعافري أبو عبد الله المصري. قال ابن حجر: صدوق يهم. توفي سنة (١٤٣هـ). ينظر: «الثقات» (٧٥١٥/٢٣٥/٦)، «الضعفاء للنسائي» (ص١٦٢/٣٥)، «شيوخ ابن وهب» (٨٤/١)، «تهذيب التهذيب» (٧٢/٣).

أبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيّ: هو عبد الله بن يزيد المَعَافِرِيُّ المصري، أبو عبد الرحمن الحُبُلي. خلاصة حاله: ثقة. توفى بإفريقية سنة ١٠٠ هـ. ينظر: «الجرح والتعديل»: (٩١٧/١٩٧/٥)، «معرفة الثقات»: (٩٩٥/٦٦/٢)، «تهذيب التهذيب»: (١٦٣/٧٤/٦)، «التقريب»: (ص: ٣٢٩/برقم: ٣٧١٢).

عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي: هو الصحابي الجليل عبد اللَّه بن عمرو بن العاص القرشيّ السّهمي رضي الله عنه.

والحديث بهذا الإسناد: ضعيف؛ لحال حيّ بن عبد الله وَعبد الله بن لَهِيعَة، وقال البوصيري في الزوائد (٦٢/١): هَذَا إِسْنَاد ضَعِيف لضعف حيّ بن عبد الله وَعبد الله بن لَهِيعَة. لكنه يرتقي للحسن لغيره بما يتقوى به مما ورد من كراهة الإسراف في الماء عموما في أحاديث الباب كما في حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه الآتي عند أحمد وأبي داود، والله أعلم.

وعن عبد الله بن مغفّل رضي الله عنه، أنه سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفِرْدَوْسَ وَكَذَا، وَأَسْأَلُكَ كَذَا. فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٥١/٢٧ ح١٦٧٩٦) حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَبِي نَعَامَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، سَمِعَ ابْنًا لَهُ .. الحديث. وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطهارة باب الإسراف في الماء (٢٤/١ ح٩٦). وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء باب كراهية الاعتداء في الدعاء (١٢٧١/٢ ح٣٨٦٤) من طريق سعيد الدريري عن أبي نعامة به بلفظه، واقتصر لفظ ابن ماجه على الدعاء دون الطهارة.

يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: هو يزيد بنُ هَارُوْنَ بنِ زَاذِي السُّلَمِيّ، أَبُو خَالِدٍ الوَاسِطِيُّ. ثقة متقن عابد. مات سنة ٢٠٦ هـ. ينظر: «تهذيب التهذيب»: (٦١٢/٣٢١/١١)، و«التقريب»: (ص: ٦٠٦/برقم: ٧٧٨٩).

حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: هو حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري. ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وساء حفظه بأخرة، وحديثه عن قتادة وأيوب، وداود بن أبي هند، والجريري، ويحيى بن سعيد، وعمرو بن دينار، وزياد الأعلم، وقيس بن سعد، وأشباههم ليس بذاك؛ فإنه يخطئ في حديثهم كثيرًا. ينظر: «الجرح والتعديل»: (٦٢٣/١٤٠/٣)، و«الثقات»: (٧٤٣٤/٢١٦/٦)، و«الاغتباط»: (ص: ٩٦/برقم: ٢٨)، و«الكواكب النيرات»: (٦/٤٦٠/١)، و«الكاشف»: (١٢٢٠/٣٤٩/١)، و«ميزان الاعتدال»: (٢٢٥١/٥٩٠/١)، و«شرح علل الترمذي»: (٦٢١/٢ - ٦٢٤)، و«تهذيب التهذيب»: (١٤/١١/٣)، و«التقريب»: (ص: ١٧٨/برقم: ١٤٩٩).

يَزِيد الرَّقَاشِيّ: هو يزيد بن أبان الرَّقَاشي، وخلاصة حاله: ضعيف، تبعاً للجمهور. ينظر: «الطبقات الكبرى» (٢٤٤/٩)، «الجرح والتعديل» (٢٥١/٩)، «الكامل في الضعفاء» (٢٥٧/٧)، «تهذيب التهذيب» (٢٧٠/١١)، «تقريب التهذيب» (٥٩٩).

أبو نَعَامَةَ: هو قَيْسُ بْنُ عَبَايَةَ أَبُو نَعَامَةَ الْحَنَفِيُّ الْبَصْرِيُّ. خلاصة حاله: ثقة مات بعد سنة عشر ومائة. ينظر: «التهذيب» (٤٠٠/٨)، «التقريب» (ص٥٥٨٣/٤٥٧).

عَبْد اللَّهِ بْن مُغَفَّلٍ: هو الصحابي الجليل عَبْدُ اللهِ بنُ مُغَفَّلِ بنِ عَبْدِ نَهْمٍ بنِ عَفِيْفٍ المُزَنِيُّ، قال البخاريّ: له صحبة، سكن البصرة، وهو أحد البكاءين في غزوة تبوك، وشهد بيعة الشجرة، ثبت ذلك في الصحيح. وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقّهوا الناس بالبصرة.. مات بالبصرة سنة تسع وخمسين، قاله مسدّد. وقيل: سنة ستين، فأوصى أن يصلّي عليه أبو برزة الأسلمي، فصلّى عليه. ومات سنة إحدى وستين. ينظر: «الاستيعاب» (٩٩٦/٣)، «الإصابة» (٢٠٧/٤).

والحديث بهذا الإسناد: ضعيف؛ لحال يزيد الرقاشي فهو ضعيف عند الجمهور كما تقدم، لكنه يرتقي للحسن لغيره بمتابعة سعيد الجريري كما عند أبي داود، وبشاهده المتقدم في الحديث السابق، وحسّن إسناده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٢٥)، وقال الحافظ في الأمالي المطلقة (ص ١٧): حديث حسن، وصححه ابن حجر كما في التلخيص الحبير (٣٨٧/١).

والاعتداء في الطهارة: تعني تجاوز الحد المعقول في استعمال الماء في أعمال العبادات المشروعة كالوضوء، والغسل، والخروج من حد الاعتدال إلى حد الإسراف والتبذير.

ثانياً: الاقتصاد في استعمال الماء:

الاقتصاد في استعمال الماء ضرورة حياتية، خاصة ونقطة الماء في هذا الزمان تساوي حياة، فالاقتصاد أصلٌ لحفظ الماء، واستدامة وجوده، والسنة النبوية ترشدنا إلى طريقة الاقتصاد، فهو مهم ليس فقط في الاستعمالات المباحة من السقي والزرع وغيرهما، وإنما تشمل الاقتصاد في الأمور التعبدية الواجبة، كالوضوء للصلاة، والغسل من الجنابة، ولذلك ورد في السنة النبوية وصفًا لكمية الماء التي من الممكن أن تكفي الفرد في استعماله الشخصي، سواء للوضوء أو الغسل؛ لكونهما الأكثر استعمالًا في اليوم والليلة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ»(١).

والصاع: هو ما يساوي أربعة أمداد، والمد: هو ما يزيد على نصف الليتر من الماء بقليل.

وهذا يعني حرصه صلى الله عليه وسلم على الاقتصاد في استعمال الماء في هذه الأمور المشروعة، وإيضاح ذلك بطريقة عملية يفهمها المخاطبون، كما يعني عدم الإسراف في استعمال الماء للوضوء أو الغسل، وهما مما يلزمان للصلاة في حالتي رفع الحدث الأصغر أو الأكبر.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء باب الوضوء بالمد (٥١/١ ح٢٠١). ومسلم في صحيحه: كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة (٢٥٨/١ ح٣٢٥).

ومن صور هذا الاقتصاد أيضًا: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغتسل مع بعض نسائه من إناء واحد، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ، مِنْ قَدَحٍ يُقَالُ لَهُ الفَرَقُ»(١).

وهذا يدل على جواز اغتسال الرجل مع زوجته من إناء واحد، وعلى طهارة الماء المستعمل، وعلى قمة المؤانسة والملاطفة التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو ما ينبغي أن يكون عليه الأزواج في زماننا.

ومن صور هذا الاقتصاد أيضًا: الاعتدال في الشراب، حيث وجهت السنة النبوية أن الاستفادة المثلى من الماء والتي تحقق درجة الاستشفاء، ليست في ملأ البطن منه، وإنما ثلث البطن من الماء يكفي، فعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ طَعَامٍ، وَثُلُثٌ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الغسل باب غسل الرجل مع امرأته (٥٩/١ ح٢٥٠). ومسلم في صحيحه: كتاب الحيض باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة (٢٥٧/١ ح٣١٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٢٢/٢٨ ح١٧١٨٦) حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ سُلَيْمٍ الْكِنَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيَّ، فذكر الحديث. وأخرجه الترمذي في جامعه: أبواب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (٥٩٠/٤ ح٢٣٨٠) من طريق أبي سَلَمَةَ الحِمْصِيّ، وَحَبِيب بْن صَالِح، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيّ، به بلفظه. وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع (١١١١/٢ ح٣٣٤٩) من طريق جدة محمد بن حرب الخولاني عن المقدم به بمثله.

أَبُو الْمُغِيرَةِ: هو عبد القدوس بن الحجاج الخَوْلَانِيُّ، أبو المغيرة الحمصي. ثقة، ومن أنزله عن الثقة لم يذكر سببًا. تُوفِيَ سنة ٢١٢هـ. ينظر: «الجرح والتعديل»: (٢٩٩/٥٦/٦)، و«تهذيب التهذيب»: (٧٠٨/٣٢٩/٦)، و«التقريب»:(ص: ٣٦٠/برقم: ٤١٤٥).

سُلَيْمَانُ بْنُ سُلَيْمٍ الْكِنَانِيُّ: هو سُلَيْمَانُ بْنُ سُلَيْمٍ، أَبُو سَلَمَةَ الْكَلْبِيُّ مَوْلاهُمُ، الْحِمْصِيُّ، ثقة عابد، مات سنة سبع وأربعين ومئة. ينظر: «التهذيب» (١٩٥/٤)، «التقريب» (ص٢٥١/٢٥٦٦).

يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ: هو يحيى بن جابر بن حسان الطائي أبو عمرو الحمصي القاضي. ثقة. مات سنة ست وعشرين ومئة. ينظر: «التهذيب» (١٩١/١١)، «التقريب» (ص٥٨٨/٧٥١٨).

الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيَّ: هو الصحابي الجليل المِقْدَامُ بنُ مَعْدِ يكْرِب بنِ عَمْرِو بنِ يَزِيْد أَبُو كَرِيْمَةَ. وَيُقَالُ: أَبُو بِشْرٍ، الكندي. لَهُ ٤٠ حَدِيثًا، توفي سنة ٨٧ هـ على الصحيح. ينظر: «سير أعلام النبلاء»: (٧٥/٤٢٧/٣)، و«التقريب»: (ص: ٥٤٥/رقم: ٦٨٧١).

والحديث صحيح مستوف لشروط الصحة.

ثالثاً: ضمان حق الناس جميعاً في الانتفاع بالماء:

الماء هبة من الله تعالى وعطية لخلقه، سخر له الموارد التي تديم وجوده ليظل انتفاع الناس به متحققًا ما دامت السماوات والأرض، لذلك فالناس جميعًا شركاء فيه، يُقسم بينهم بالسوية، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»(١).

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (أرملوا) من الإرمال، أي فني طعامهم، أو هلكت أموالهم، وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل من قلة المال والطعام(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ، وَالْكَلَأُ، وَالنَّارُ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض (١٣٨/٣ ح٢٤٨٦). ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم (١٩٤٤/٤ ح٢٥٠٠).

(٢) ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢٦٥/٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث (٨٢٦/٢ ح٢٤٧٣). حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ، وَالْكَلَأُ، وَالنَّارُ». وأخرجه مالك في الموطأ: كتاب الأقضية باب القضاء في المياه (٧٤٤/٢ ح٢٩) عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ الْكَلَأُ».

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ: هو محمد بن عبد الله بن يزيد القرشي العدوي مولى آل عمر أبو يحيى بن أبي عبد الرحمن المقري المكي. خلاصة حاله: ثقة. مات سنة ست وخمسين ومئتين. ينظر: «التهذيب» (٢٨٤/٩)، «التقريب» (ص٦٠٥٤/٤٩٠).

سُفْيَانُ: هو سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ بن أَبِي عِمْرَانَ مَيْمُوْنٍ الهِلَالِيُّ، ثقة حافظ فقيه إمام حجة. توفي سنة: ١٩٨هـ ينظر: الكاشف»: (٤٤٩/١)، و«تقريب التهذيب»: (٢٤٥/١)، و«تهذيب التهذيب»: (١١٧/٤).

أبو الزِّنَاد: هو عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن المدني المعروف بأبي الزناد. قال ابن حجر: ثقة فقيه، تُوفِيَ سنة ١٣٠هـ، وقيل: بعدها. ينظر: «تهذيب التهذيب»: (٣٥٢/١٧٨/٥)، «تقريب التهذيب»: (ص: ٣٠٢/برقم: ٣٣٠٢).

الْأَعْرَجِ: هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، قال ابن حجر: ثقة ثبت عالم، تُوفِيَ سنة ١١٧هـ. ينظر: «تهذيب التهذيب»: (٥٦٩/٢٦٠/٦)، «التقريب»: (ص: ٣٥٢/برقم: ٤٠٣٣).

أبو هُرَيْرَةَ: هو الصحابي الجليل حافظ الصحابة: عبد الرحمن بن صخر. تُوفِيَ رضي الله عنه سنة ٥٧ هـ. وقيل ٥٨هـ. وقيل ٥٩هـ، وهو ابن ٧٨ سنة. ينظر: «الإصابة»: (٤٢٥/٧).

والحديث بهذا الإسناد صحيح، قال البوصيري في الزوائد (٥٠/٢): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، محمد بن عبد الله بن يزيد المقري أبو يحيى المكي وثقه النسائي وابن أبي حاتم، ومسلمة الأندلسي والخليلي وغيرهم، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين.

فهذا تأكيد على حق الناس جميعًا في الانتفاع بالماء والاستشفاء به، واقتسامه فيما بينهم عندما يقل، كما فعل الأشعريون رضي الله عنهم، ومدحهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العمل، وأن احتكار الماء أو حبسه أو إهداره؛ ليس من السنة النبوية، بل جناية بالناس جميعًا؛ واستطالة على حقٍّ ليس من حق المحتكر، ولا يكفل حق الانتفاع به المشروع للناس كافة.

رابعاً: الحفاظ على المياه من التلوث البيئي:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلويث الماء عامة بما يغير حالته الطهورية إلى حالة لا يصلح فيها للاستعمال أو الطهارة أو الاستشفاء، وأكد على هذا مع الماء الراكد الذي يبقى فترة من الزمن دون استعمال، فنهى عن البول فيه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ»(١). أي الماء الساكن الذي لا يجري، ويطول زمن مكوثه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ»(٢). والدائم هنا بمعنى الراكد؛ لكونه يدوم أي يطول زمانه، ومع مكوثه هذا الزمان يكون ما في البول من نجاسة قد تحللت في الماء وامتزجت به.

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد (٢٣٥/١ ح٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء باب البول في الماء الدائم (٥٧/١ ح٢٣٩). ومسلم في صحيحه: كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد (٢٣٥/١ ح٢٨٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطهارة باب المواضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها (٧/١ ح٢٦) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُوَيْدٍ الرَّمْلِيُّ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبُو حَفْصٍ، وَحَدِيثُهُ أَتَمُّ أَنَّ =

والملاعن: جمع ملعنة، وهي الفعلة التي يُلعن بسببها فاعلها، كأنها مظنة للعن ومحل له، مثل أن يتغوط الإنسان على حافة الطريق، أو في ظل شجرة، أو جانب النهر، فإذا مر بها الناس لعنوا فاعلها[1]. والموارد: هي موارد الماء: كالأنهار والعيون والآبار.. وغير ذلك.

فهذا النهي الأكيد والتحذير النبوي الشديد عن تلويث المياه يهدف إلى المحافظة على نقاء الماء وطهارته، وصلاحيته للانتفاع به بشتى صوره، وعلى استزادة موارده، واستدامة منفعته، ومن صور هذا التلوث المنهي عنه: التبول المباشر أو التبرز المباشر، أو إلقاء مخلفات المجاري في المصادر المائية، والتي أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أنه ينتج عنه: وصول العديد من الطفيليات والميكروبات التي تضر بصحة

سَعِيدَ بْنَ الْحَكَمِ، حَدَّثَهُمْ قَالَ: أَخْبَرَنَا نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنِي حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْحِمْيَرِيَّ، حَدَّثَهُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه.. الحديث. وابن ماجه في سننه: كتاب الطهارة وسننها باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (١١٩/١ ح٣٢٨)، والحاكم في المستدرك: كتاب الطهارة (٢٧٣/١ ح٥٩٤) من طريق نافع بن يزيد به بنحوه.

إِسْحَاقُ بْنُ سُوَيْدٍ الرَّمْلِيُّ: هو إسحاق بن إبراهيم بن سويد البلوي، أبو يعقوب الرملي. ثقة. ينظر: «التقريب» (ص٣٢٧/٩٩)، «التهذيب» (٢١٤/١).

سَعِيد بْن الْحَكَمِ: هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي بالولاء أبو محمد، ثقة ثبت فقيه. ينظر: «التقريب» (ص٢٢٨٦/٢٣٤)، «التهذيب» (١٧/٤).

نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ: هو نافع بن يزيد الكَلاعي، أبو يزيد المصري، ثقة عابد. ينظر: «التقريب» (ص٧٠٨٤/٥٥٩)، «التهذيب» (٤١٢/١٠).

حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ: هو حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحِ بْنُ صَفْوَانَ التُّجِيبِيُّ أَبُو زُرْعَةَ المصري الفقيه. ثقة ثبت فقيه زاهد. ينظر: «التقريب» (ص١٦٠٠/١٨٥)، «التهذيب» (٦٩/٣).

أبو سَعِيد الْحِمْيَرِيّ: قال ابن حجر: شامي مجهول من الثالثة وروايته عن معاذ بن جبل مرسلة. ينظر: «التقريب» (ص٨١٢٨/٦٤٤)، «التهذيب» (١٠٩/١٢).

مُعَاذ بْن جَبَلٍ: الصحابي الجليل رضي الله عنه.

والحديث: قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وقال الذهبي: صحيح. وفي ذلك نظر كما قال ابن الملقن في البدر المنير (٣١٠/٢). قلت وهو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده السابقة في الصحيحين، والله أعلم.

(٢) ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢٥٥/٤).

الإنسان كالبلهارسيا، والدودة الكبدية وغيرها! ولذلك ورد التحذير والنهي من استعمال الماء دون القلتين إذا لاقته النجاسة، خوفًا من وقوع هذه الأضرار، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَاءِ وَمَا يَنُوبُهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسِّبَاعِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبَثَ»(١). وتساوي القلتان باللتر: مئة وستين لترًا تقريبًا.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطهارة باب ما ينجس الماء (١٧/١ ح٦٣) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَغَيْرُهُمْ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، .. فذكره. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهَذَا لَفْظُ ابْنُ الْعَلَاءِ، وَقَالَ عُثْمَانُ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهُوَ الصَّوَابُ. وأخرجه النسائي في «سننه»، كتاب: الطهارة، باب: التوقيت في الماء (٥٢/٤٦/١)، وعنه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار»: (٦٤/٧/ح: ٢٦٥٤)، ومن طريقه الدارقطني في «سننه»، كتاب: الطهارة، باب: حكم الماء إذا لاقته النجاسة (٨/١/ح: ٢)، قال: أخبرنا هناد بن السري، والحسين بن حريث، عن أبي أسامة، به.

محمد بن العلاء: هو محمد بن العلاء بن كريب الهَمْدَانِيُّ، أبو كُرَيب الكوفي، خلاصة حاله: ثقة حافظ. ينظر: «الجرح والتعديل»: (٢٣٩/٥٢/٨)، «تهذيب التهذيب»: (٦٣٦/٣٤٢/٩)، «التقريب»: (ص ٥٨٤/ ٦٢٠٤).

أَبُو أُسَامَةَ: هو حَمَّادُ بنُ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ القرشي مولاهم، أبو أسامة الكُوْفِيُّ. خلاصة حاله: ثقة ثبت من المرتبة الثانية من المدلسين. ينظر: «الكاشف»: (١٢١٢/٣٤٨/١)، «تهذيب التهذيب»: (٣/٣)، «التقريب»: (ص ١٧٧/ ١٤٨٧).

الوليد بن كثير: هو الوليد بن كثير القرشي، أبو محمد المدني الكوفي. خلاصة حاله: ثقة. ينظر: «الجرح والتعديل»: (١٤/٩)، «الكاشف»: (٣٥٤/٢)، و«تقريب التهذيب»: (٥٨٣).

محمد بن جعفر: هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام القرشي. خلاصة حاله: ثقة. ينظر: «تهذيب الكمال»: (٥٧٩/٢٤)، و«تهذيب التهذيب»: (٨١/٩).

عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، أبو عبد الرحمن المدني. خلاصة حاله: ثقة. ينظر: «تهذيب الكمال»: (١٨٠/١٥)، و«تهذيب التهذيب»: (٢٥٠/٥).

الصحابي الجليل عَبْد اللَّه بْن عُمَر بْن الخطاب الْقُرَشِيّ العدوي. فهو حديث صحيح الإسناد.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء (١٥٩٤/٣ ح٢٠١٢).

وقد اشتمل هذا الحديث النبوي على عدة آداب ينبغي مراعاتها للسلامة والوقاية والحماية من الأذى الذي يلحق الإنسان، فمنها: تغطية الإناء الذي يشرب منه الإنسان بخرقة أو غطاء أو نحو ذلك، حتى لا يقع فيه ما يضره. ومنها: أن يُربط فم قربة الماء أو الإناء بالوكاء وهو الخيط الذي تربط به القربة، ويدخل في معناه كل ما يحتاج إليه في التغطية، حتى لا ينسكب الماء أو يدخل فيه ما ليس منه. ومنها: إغلاق الأبواب عند النوم حتى لا يدخل للفراش أو لمواضع الطعام شيء من الحشرات المؤذية. ثم أمر صلى الله عليه وسلم بإطفاء الأنوار ليلًا فإن الشيطان لا يقوى على فتح غطاءٍ أو دخول بيتٍ مغلق، وحتى لا تدخل الفويسقة: أي الفأرة فتجر الفتيلة من القنديل المشتعل بالنار فتتسبب في حرق البيت، كما كان معروفًا في ذلك الوقت!.

كل ذلك يأخذنا إلى تطبيق مثالي لكيفية الاستشفاء بالماء، وتجنب ما ربما يحدث من ضرر أو خطر، وقد تضمنت هذه الأحاديث أن الله تعالى قد أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون من الأضرار وما ينزل من الأخطار في هذه الأوقات، وهو ما يؤكد دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، ونبهنا نبينا صلى الله عليه وسلم لكيفية توقي ذلك، وصدق نبينا صلى الله عليه وسلم في حرصه على تعليم أمته فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

المبحث الثاني : الاستشفاء بالماء عبر الزمان.

الاستشفاء: طلب الشفاء، وطلب الشفاء مشروع في الإسلام، وخاصة بما أودعه الله تعالى في مكونات البيئة الطبيعية من مصادر الحياة، وذلك كالماء، فهو أهم عناصر الحياة على وجه الأرض، فلما كان أصل وجوده سبب الحياة، فلا يُستغرب أن يكون استعماله في الشفاء والتداوي مندرجًا بالأصالة تحت هذا الأصل.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»(١).

وقد عرف العلماء الماء بقولهم: (هو سائل شفاف لا لون له ولا طعم ولا رائحة، وهو ضروري لجميع أشكال الحياة، وهو تلك المادة العجيبة التي تغطي ثلثي مساحة سطح الكرة الأرضية، وتتركب جزيئة الماء من ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين، يرتبط بعضها مع بعض بروابط كيميائية قوية. ويرمز له بالرمز H2O، فالرمز H2 يعني ذرتي هيدروجين، والحرف O يعني ذرة أكسجين. والجزيئات هذه ترتبط أيضاً لتكوّن الماء، فكل خمسة آلاف مليون جزيئة ماء ترتبط لتشكل قطرة ماء واحدة!)(٢). قلت: سبحان الخلاق العظيم، ذرات لا ترى بالعين المجردة لو زيد فيها أو انتقص لاختل الشراب العذب وأصبح متغيرا!!

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في فوائد الماء والاستشفاء به: (وَهُوَ بَارِدٌ رَطْبٌ، يَقْمَعُ الْحَرَارَةَ، وَيَحْفَظُ عَلَى الْبَدَنِ رُطُوبَاتِهِ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ بَدَلَ مَا تَحَلَّلَ مِنْهُ، وَيُرَقِّقُ الْغِذَاءَ، وَيُنْفِذُهُ فِي الْعُرُوقِ)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (١٢٢/٧ ح٥٦٧٨).

(٢) ينظر: «دورة الماء بين العلم والإيمان» عبد الدائم الكحيل: (ص٢)، و«التخلص من السموم بواسطة الماء» جين سكريفنر (ص١٤).

(٣) ينظر: «زاد المعاد» محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) (٣٥٦/٤).

وتختلف أنواع المياه من حيثيات كثيرة، فأشهرها وأكثرها: الحالة السائلة والحالة الغازية والحالة الجامدة، وتختلف أيضًا باختلاف الخصائص التركيبية المتنوعة، كما تختلف باختلاف الجغرافيا المتنوعة(١).

ولأهمية الماء كانوا قديما يجعلون آلهة خاصة به، ك "تياما" أو "تيامات" فهي آلهة الماء الملح (٢).

قلت: وهذا إشارة لقدم استعمال الماء في أمر الشفاء تنويها بأهميته التي أثبتتها آيات القرآن الكريم عندما ذكره الله تعالى في مقدمة أنواع النعيم لأهل الجنة فقال سبحانه:﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾[محمد: ١٥]. كما جعله في مقدمة أنواع العذاب لأهل النار، فقال سبحانه:﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ [محمد: ١٥].

وقد ارتبطت الحياة بالماء من فجر التاريخ، وعلم الإنسان أن الماء سبب للتداوي وطريق للشفاء، (فعندما عثر العلماء على آثار للماء على كوكب المريخ بدأ التفكير جديًّا بوجود حياة على سطح الكوكب الأحمر؛ لأن لديهم اعتقاد جازم بأن وجود الماء لابد أن يرتبط بوجود الحياة. فالخلايا الإنسانية والحيوانية

(١) ينظر: «المقدمات في الجغرافيا الطبيعية» دكتور عبد العزيز طريح شرف: (ص٢٠٣). «المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة» محمد محمود محمدين/ طه عثمان الفراء: (ص٢١٣).

(٢) ينظر: «معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم» محمد أبو المحاسن عصفور: (ص٣٤٦). وأيا أو إيا أو آيا إلهة الماء العذب أو إلهة المياه عند السومريين والبابليين .هي زوجة إله الشمس في الأساطير البابلية والأشورية. ينظر: الموسوعة الحرة ويكبيديا.

والنباتية تحوي كميات من الماء دائماً، وعند نقصان هذه الكمية إلى حدود حرجة فهذا يعني الجفاف والموت. يقول تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. يشكل الماء ٩٠ % من وزن بعض الكائنات الحية، أما في الإنسان فيشكل الماء أكثر من ٦٠ % من وزن جسمه، إن الدماغ البشري يحوي ٧٠ % من وزنه ماءً، الرئتان تحويان نسبة ٩٠ بالمئة ماء، ونسبة الماء في الدم ٨٣ %، ولذلك فإن الإنسان لا يستطيع العيش بصحة جيدة من دون ماء أكثر من يوم واحد)[١].

وقد سجل لنا التاريخ أسماءً عديدةً لمياه كانت في حوزة أهلها وسميت بأسمائهم[٢].

مما يعني أن الاستشفاء بالماء والاعتقاد بنفعه في مجال الطب والدواء أمر قديم، ومما يؤيد هذا: أن القدماء المصريين قد عرفوا فوائد العلاج بحمامات المياه المعدنية قبل العالم، فيذكر أن المعماري المصري القديم (أموتيب) قد أنشأ مجموعة من الحمامات المعدنية كان يتوافد عليه الأثرياء، .. [٣].

وليس المصريون وحدهم من تعرف على العلاج بالماء أو مارسه، (ففي وقت مبكر من القرن الثامن عشر عندما وضع الطبيب الإنجليزي ريتشارد راسل، أنواعًا من العلاجات المتعلقة بالمياه. والتي اكتسبت شعبيةً في القرن التاسع عشر؛ عندما بدأ الناس في التحول إلى الطب البديل، بسبب وقوع الأمراض، وظهور الأمراض المزمنة)[٤].

(١) ينظر بتصرف: «دورة الماء بين العلم والإيمان» م/ عبد الدائم الكحيل: (ص٥).
(٢) ينظر: «الجبال والأودية والمياه» أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ): (ص٢٨ وما بعدها).
(٣) ينظر بتصرف: «العلاج بالماء» د/محمد السقا عيد (ص١٤-١٥)، «الطب البديل العلاج بالماء قديما وحديثا» ماهر حسن محمود (ص٩ وما بعدها).
(٤) ينظر بتصرف: مقال بتاريخ ٣٠ يوليو ٢٠١٦م جريدة أكاديميا الكويتية بعنوان «العلاج بشرب الماء الطريقة اليابانية للشفاء».

ثم توالت التجارب والأبحاث العلمية تتدفق واحدة بعد الأخرى، في الصين واليابان وغيرهما إلى يومنا هذا، حيث أصبح من طرق الإسعافات الحديثة اللجوء إلى الماء في إسعاف المصابين بحرق أو لسع أو غيره، ولا يخفى علينا ما تحدثه كمادات المياه الباردة من تأثير في خفض حرارة قد تفقد الأطفال والكبار صوابهم فتعيدهم إلى حالتهم الطبيعية بفضل الله تعالى.

وهكذا أصبح الاستشفاء بالماء من أكثر العلاجات الناجحة قديمًا وحديثًا، ومن أفضل الوسائل التي تعيد النشاط لمكونات الخلايا الجسدية، ولعلنا نستشعر ذلك من خلال الاغتسال والوضوء كيف يعيد حيوية الجسد ونشاطه، بل من خلال وضع الماء على الوجه عند النعاس كيف يعيد التركيز مرة أخرى ويُذهب الكسل![1].

وبعد، فهذه ومضة قصيرة أضاءت لنا كيف تعاملت السنة النبوية مع نعمة الماء: تقديرًا لأهميته، وصيانةً لموارده، وحفظًا لحقوق الناس جميعًا في الانتفاع به، وتحصيلًا للطريقة المثلى في الاستشفاء به، وكيف أزاحت كثيرًا من العقبات التي تحول الآن في زماننا من الانتفاع بالماء بالصورة المثلى، خاصة وهو أصلٌ من أصول الدواء والاستشفاء، كما كشفت عن الحق الأصيل في الانتفاع بالماء للناس جميعا. والله نسأل أن يرزقنا السداد والقبول في المكتوب والمنقول.

(١) ينظر للاستفادة والمزيد: «الطب البديل العلاج بالماء قديما وحديثا» ماهر حسن محمود (ص١١٢) وما بعدها.

الفصل الثاني

طرق الاستشفاء بالماء وأنواعها

في السنة النبوية

المبحث الأول: الاستشفاء بماء زمزم

ماء زمزم: هو ذلك الماء الطاهر الذي نبعَ وانتشر من تحت قدمَيْ نبيِّ الله إسماعيل -عليه السلام- وهو رضيعٌ مع أمِّه السيدة الفاضلة هاجر -عليها السلام- في مكة المكرمة، فكان آية باقية من آيات الله تعالى، دلت على قدرته سبحانه وعظمته، وأنبأت عن مكانة إسماعيل وأمه -عليهما السلام- عند الله تعالى، بل وتركت لنا درسًا وعظةً لا تنقطع، أن معية الله تعالى دومًا مع المؤمنين الصادقين الذين انقطعت أسباب الحياة عن وجوههم.

وماء زمزم ماءٌ مباركٌ في ذاته، شفاء من الأمراض بإذن الله، وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة كما في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عنها: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ»(١).

والوصف بالبركة آية من آيات الله العظمى لهذا الماء الذي يظل سره عند الله تعالى!. ومعنى كونها طعام طعم: أي يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام(٢).

وتحصل هذه البركة لمن صح صدقه مع الله تعالى ومع الناس، وصلحت نيته عند شرابه ابتغاء السلامة والشفاء من الله تعالى(١).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل باب فضائل أبي ذررضي الله عنه (١٩١٩/٤ ح٢٤٧٣) من حديث طويل.

(٢) ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١٢٥/٣).

وهي خير ماء على وجه الأرض، يشهد لهذا واقعها المشاهد، وما أخرجه الطبراني من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ، وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ...»(٢).

---

(١) قال الإمام القرطبي رحمه الله: (إنها تظهر بركتها على من صحَّ صدقه وحسنت فيها نيته). ينظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٣٩٨/٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٨/١١ ح١١١٦٧) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، وَعَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الرَّازِيُّ، قَالَا: ثنا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي شُعَيْبٍ الْحَرَّانِيُّ، ثنا مِسْكِينُ بْنُ بُكَيْرٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُهَاجِرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي حَرَّةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ .. الحديث. وعن الإمام الطبراني: أخرجه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٨٣/١٣ ح١٣٧).

مُوسَى بْنُ هَارُونَ: هو موسى بن هارون بن عبد الله بن مروان، أبو عمران البزاز المعروف والده بالحمَّال. قال الخطيب: كان ثقة عالمًا حافظًا. ينظر: «تاريخ بغداد»: (٧٠١٩/٥٠/١٣)، «سؤالات الحاكم»: (ص١٥٧/ ٢٣١)، «تاريخ الإسلام»: (٣١٥/٢٢).

الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي شُعَيْبٍ الْحَرَّانِيُّ: هو الحسن بن أحمد بن أبي شعيب عبد الله بن مسلم الأموي مولى عمر بن عبد العزيز بن مسلم الحراني. قال ابن حجر: ثقة يغرب. ينظر: «التهذيب» (٢٥٤/٢)، «التقريب» (ص١٢١٠/١٥٨).

مِسْكِينُ بْنُ بُكَيْرٍ: هو مسكين بن بكير الحراني أبو عبد الرحمن الحذاء. قال ابن حجر: صدوق يخطىء وكان صاحب حديث. مات سنة ثمان وتسعين ومئة. ينظر: «التهذيب» (١٢٠/١٠)، «التقريب» (ص٦٦١٥/٥٢٩).

مُحَمَّدُ بْنُ مُهَاجِرٍ: هو محمد بن مهاجر بن أبي مسلم دينار الأنصاري. قال أحمد بن صالح العجلي: شامي ثقة، وأخوه عمرو شامي ثقة. وذكره ابن شاهين في كتاب " الثقات ". ينظر: «إكمال تهذيب الكمال» (٣٧٠/١٠).

إِبْرَاهِيم بْن أَبِي حَرَّةَ: هو إِبْرَاهِيم بن أبي حرَّة النصيبي نزيل مَكَّة. قال الذهبي: ضعفه الساجي، ولكن وثقه ابن معين، وأحمد، وأبو حاتم وزاد لا بأس به. ينظر: «الميزان» (٢٦/١)، «تعجيل المنفعة» (٢٥٥/١).

مجاهد: هو مُجَاهِد بن جَبْر المَكِي، أبو الحَجَّاج المَخْزُومِي. قال ابن حَجَر: ثقة إمام في التفسير، وفي العلم. تُوفِيَ سنة ١٠١هـ. وقيل بعد ذلك. ينظر: «تهذيب التهذيب»: (٦٨/٣٨/١٠)، و«التقريب»: (ص ٥٢٠/ ٦٤٨١).

ابْن عَبَّاسٍ: الصحابي الجليل عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

=

أي طعام يُشبع منه ولا يمل، ويكف الجوع عن الجائع بلا ضرر، وشفاء من الأمراض فلا جزع.

ويشهد له ما أخرجه أبو داود الطيالسي من حديث أبي ذر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُنْذُ كَمْ أَنْتَ هَاهُنَا؟» قَالَ: قُلْتُ: مُنْذُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، قَالَ: «مُنْذُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا كَانَ طَعَامُكَ؟» قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ إِلَّا مَاءَ زَمْزَمَ، وَلَقَدْ سَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي[1]، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سَخْفَةَ جُوعٍ[2]، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، وَهِيَ طَعَامُ طُعْمٍ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ»[3].

والحديث بهذا الإسناد حسن؛ لحال مسكين بن بكير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٦/٣): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

(١) العُكْنَةُ: الطَيُّ الذي في البطن من السِمَن، والجمع عُكَنٌ وأعْكانٌ. ينظر: «الصحاح» للجوهري (١٢٥/٣).

(٢) أصل السُخْفُ بالضم: رقّةُ العَقلِ. وقد سَخُف الرجل بالضم سَخافةً فهو سخيف. وسخفة الجوع: أي رقة الجسد من الجوه وهزاله. ينظر: «الصحاح» للجوهري (١٢٥/٣).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٣٦٤/١ ح٤٥٩) قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه .. فذكر الحديث. ومن طريق أبي داود: أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٣٥٦/٧ ح١٠٣٢٠). والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٢/٥ ح١٨٦٣). وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: كتاب الحج باب في فضل زمزم (٢٧٣/٣ ح١٤١٢٣) حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: كتاب الحج باب سقاية الحاج والشرب منها ومن ماء زمزم (٢٤٠/٥ ح٩٦٥٩) أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، أنبأ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ رَجَاءٍ ، وَعِمْرَانُ بْنُ مُوسَى ، قَالَا: ثنا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ. كلاهما (أبو أسامة، وهدبة بن خالد) عن سليمان بن المغيرة به بزيادة عند البيهقي، وقال: ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ عَنْ هَدَّابِ بْنِ خَالِدٍ. وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٠٤/٤ ح٤٢٧٠)، وفي المعجم الكبير(١٥٣/٢ ح١٦٤٠) من طريق خالد الحذاء. دون قوله: وشفاء سقم. ثم قال: لَمْ يَرْوِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ إِلَّا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُخْتَارِ". وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١٨٦/١ ح٢٩٥) من طريق عَبْد اللَّهِ بْن بَكْرٍ الْمُزَنِيّ. ثم قال: لَمْ يَرْوِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرٍ إِلَّا رَوْحُ بْنُ أَسْلَمَ ، وَلَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ رَوْحٍ إِلَّا الْمُفَضَّلُ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ.

كلاهما (خالد الحذاء، وعبد الله المزني) عن حميد بن هلال به بلفظ مقارب.

سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: هو سُلَيْمان بن المغيرة القيسي، أَبُو سَعِيد البَصْرِيّ، ثقة ثقة. ينظر: «الطبقات الكبرى»: (٢٨٠/٧)، «تهذيب الكمال»: (٦٩/١٢).

حُمَيْد بْن هِلَالٍ: هو حميد بن هلال بن هبيرة، ثقة عالم. ينظر: «تهذيب الكمال»: (٤٠٣/٧)، «ميزان الاعتدال»: (٦١٦/١).

عَبْد اللَّهِ بْن الصَّامِتِ: هو عبد الله بن الصامت الغفاري، ثقة. ينظر: «تهذيب التهذيب»: (٤٥١/٢٣١/٥)، «التقريب»: (ص:٣٠٨/برقم:٣٣٩١).

أبو ذر: الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه.

وهذا إسناد صحيح، وأصل الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضل أبي ذر رضي الله عنه (١٩١٩/٤ ح٢٤٧٣) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ، وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُنَيْسٌ وَأُمُّنَا، فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا، فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، .. الحديث، وفيه: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ، قَالَ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ».

قلت: فإذا ثبت لها هذا الفضل، ويضاف لها هذه البركة، فلا يستبعد أن تكون تلك من مواطن الشفاء، بل لا عجب إن جاء التصريح بذلك! ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَاءُ زَمْزَمَ، لِمَا شُرِبَ لَهُ»(١).

والشفاء بها مجرب، قال الإمام النووي رحمه الله تعقيبًا على هذا الحديث: (وهذا مما عَمِلَ العلماءُ والأخيارُ به، فشربُوه لمطالبَ لهم جليلةٍ فنالوها. قال العلماء: فيُستحبّ لمن شربَه للمغفرة أو للشفاء من مرضٍ ونحو ذلك أن يقول عند شربه: اللَّهُمَّ إنَّهُ بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ" اللَّهُمَّ وإني أشْرَبُهُ لِتَغْفِرَ لي ولِتَفْعَلَ بي كَذَا وكَذَا، فاغْفِرْ لي أوِ افْعَلْ. أو: اللَّهُمَّ إني أشْرَبُهُ مُسْتَشْفِياً بِهِ فَاشْفِني، ونحو هذا، والله أعلم)(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٤٠/٢٣ ح١٤٨٤٩) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُؤَمَّلِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، فذكر الحديث. وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المناسك باب الشرب من زمام زمزم (١٠١٨/٢ ح٣٠٦٢) حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُؤَمَّلِ به بلفظه.

ومداره على عبد الله بن المؤمل بن وهب الله: القرشي المخزومي العابدي المدني وقيل: المكي. وخلاصة حاله: ضعيف الحديث. ينظر: التقريب (ص٣٢٥/٣٦٤٨)، التهذيب (٤٦/٦). لكن يشهد له حديث أبو ذر عند أبي داود الطيالسي السابق ذكره، وأصله في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضل أبي ذر رضي الله عنه (١٩١٩/٤ ح٢٤٧٣) بقوله: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ». كما يشهد له حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين الآتي، وله شاهد أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٤٦/١ ح١٧٣٩) وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْجَارُودِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وبالجملة فهو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده، وأبو الزبير قد صرح بالسماع عند ابن ماجه، وحسنه الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٣٩٣)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢١٠).

(٢) ينظر: «الأذكار» أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) (ص٢٠٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا وَغَيْرِي مِنَ الِاسْتِشْفَاءِ بِمَاءِ زَمْزَمَ أُمُورًا عَجِيبَةً، وَاسْتَشْفَيْتُ بِهِ مِنْ عِدَّةِ أَمْرَاضٍ، فَبَرَأْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَشَاهَدْتُ مَنْ يَتَغَذَّى بِهِ الْأَيَّامَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ الشَّهْرِ أَوْ أَكْثَرَ وَلَا يَجِدُ جُوعًا، وَيَطُوفُ مَعَ النَّاسِ كَأَحَدِهِمْ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ رُبَّمَا بَقِيَ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَكَانَ لَهُ قُوَّةٌ يُجَامِعُ بِهَا أَهْلَهُ، وَيَصُومُ وَيَطُوفُ مِرَارًا)[1].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَاءَ زَمْزَمَ يَنْفَعُ الشَّارِبَ لِأَيِّ أَمْرٍ شَرِبَهُ لِأَجْلِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا أَوْ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ مَا فِي قَوْلِهِ: «لِمَا شُرِبَ لَهُ» مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ)[2].

وهو حديث صريح في الاستشفاء بماء زمزم، وإن اختلف في تصحيحه كما تبين في التخريج فيشهد له حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ»[3].

وعَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أُجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ فَأَخَذَتْنِي الحُمَّى، فَقَالَ أَبْرِدْهَا عَنْكَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ أَوْ قَالَ بِمَاءِ زَمْزَمَ – شَكَّ هَمَّامٌ »[4].

---

(١) ينظر: «زاد المعاد» لابن القيم (٣٦١/٤).

(٢) ينظر: «نيل الأوطار» محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) (١٠٥/٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحج باب ما جاء في زمزم (١٥٦/٢ ح١٦٣٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات (١٤٧/١ ح١٦٢-٢٦٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة (١٢٠/٤ ح٣٢٦١).

وقد أثبتت التجارب المعملية، والدراسات العلمية أهمية ماء زمزم في الشفاء، وخلوه من كثير من الجراثيم الناقلة للأمراض، "فقد أُجرِيتْ في عامِ (١٩٧٣م)، وفي عام (١٩٨٠م) تحاليلُ كيميائيةٌ من قِبَلِ شركاتٍ عالَميةٍ عملاقةٍ ومتخصصةٍ، فكانت النتائجُ عجيبةً، حيثُ إنّ مياهَ زمزمَ خاليةٌ تماماً مِن أيِّ نوعٍ مِن أنواعِ الجراثيمِ المسبِّبةِ للتلوُّثِ"[١].

هذا بجانب الفوائد الطبية العديدة التي اكتشفتها المعامل البحثية، كمعالجة ماء زمزم للحمى، والصداع، وضعف البصر، وضعف طلب العلم بالقدرة على التحصيل العلمي وتنشيط الذاكرة، وعلاج السرطان[٢]. وغير ذلك من الفوائد المؤكدة على صدق الأحاديث النبوية، والمبرهنة على أهمية هذه الماء في الاستشفاء والتداوي لكثير من الأعراض والأمراض، والله تعالى مسبب الأسباب، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

(١) ينظر: «موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» محمد راتب النابلسي (١٠٨/٢).

(٢) ينظر بتصرف: «العلاج بالماء» د/محمد السقا عيد (ص٣٩-٤٢). وللمزيد: ينظر: «العلاج بالماء أسراره وفوائده» د محمد كمال، سلسلة المعرفة للجميع (ص١٠).

المبحث الثاني: الاستشفاء بالاغتسال والصب من ماء العائن.

مما أنزل الله تعالى على رسوله أن العين حق، فالنظرة إلى شيء فيه بعض الجمال والاستحسان من ناظرٍ خبيث الطبع قد تكون سببًا للأذى، وجلبًا للضرر، وكله بأمر الله تعالى، خاصة نظرة صاحب القلب المريض، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «العَيْنُ حَقٌّ»(١).

وقد شرع الله تعالى للشفاء من داء العين إن كان الحاسد أو الناظر معلومًا: أن يغتسل من أصابه هذا الضرر من الماء الذي يغتسل منه العائن أو يتوضأ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ(٢) سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا»(٣).

وهذا نصٌّ على أن ما يصاب به المؤمن لا يكون إلا بقدر الله تعالى، وأن العين توقع الضرر بالغير بسابق علم الله تعالى بذلك وإرادته، والواجب على من وقع منه هذا الضرر ألا يتأخر عن الاغتسال أو الوضوء لمن طلب منه ذلك؛ لينتفع بالماء في رفع الضرر وطلب الاستشفاء، وقد ورد دليل هذا الاغتسال وكيفيته في حديث أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه؛ أَنَّهُ قَالَ: رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِلُ. فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلاَ جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب العين حق (١٣٢/٧ ح٥٧٤٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى (١٧١٩/٤ ح٢١٨٧). وذهب الجمهور إلى القول بظاهر هذا الحديث، وخالفهم بعض الطوائف. ينظر تفصيل ذلك: «كشف المشكل من أحاديث الصحيحين» لابن الجوزي (٤٤٥/٢)، «المنهاج شرح مسلم بن الحجاج» للنووي (١٧١/١٤)، «فتح الباري» لابن حجر (٢٠٣/١٠).

(٢) قال الإمام القرطبي: (هذا إغياءٌ في تحقيق إصابة العين، ومبالغة فيه تجري مجرى التمثيل، لا أنَّه يمكن أن يردَّ القدر شيء، فإنَّ القدر عبارة عن سابق علم الله تعالى ونفوذ مشيئته، ولا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، وإنَّما هذا خرج مخرج قولهم: لأطلبنَّك ولو تحت الثَّرى). ينظر: «المفهم» للقرطبي (٥٦٦/٥)، «فتح الباري» لابن حجر (٢٠٣/١٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى (١٧١٩/٤ ح٢١٨٨).

فَلُبِطَ[١] بِسَهْلٍ. فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ. هَلْ لَكَ فِي سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؟ وَاللهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ. فَقَالَ: «هَلْ تَتَّهِمُونَ بِهِ أَحَداً؟» قَالُوا: نَتَّهِمُ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَامِراً، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ. وَقَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلاَّ بَرَّكْتَ. اغْتَسِلْ لَهُ». فَغَسَلَ عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فِي قَدَحٍ. ثُمَّ صُبَّ عَلَيْهِ. فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ، لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ[٢].

وقوله: ألا بركت: أي قلت: اللهم بارك فيه، تبارك الله أحسن الخالقين، ونحو ذلك. فهو تنبيه إلى أن من رأى شيئا أعجبه فقال: اللهم بارك أو تبارك الله فإنه لا يرضه بهذه العين، والله أعلم.

ومما ورد في الاكتفاء بوضوء العائن دون اشتراط الغسل، عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ»[٣].

---

(١) أي صُرع سهلٌ رضي الله عنه، وقيل هو سعال وزكام، قاله ابن بطال. ينظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٤٣٠/٩)، «فتح الباري» (٢٠٤/١٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب العين باب الوضوء من العين (٩٣٩/٢ ح٢) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، فذكر الحديث. ومن طريق مالك أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب الطب باب وضوء العائن (١٠٢/٧ ح٧٥٧٢). وابن شهاب: هو محمد بن مُسْلِم بن عُبَيْد الله بن عبد الله بن شِهَاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرَة بن كِلَاب بن مُرَّة القُرشي الزُّهْرِي الفقيه، أبو بكر الحافظ المدنيُّ. ثقة فقيه متقن أحد الأئمة الأعلام. ينظر: «الكاشف»: (٥١٥٢/٢١٧/٢)، و«تهذيب التهذيب»: (٣٩٥/٩). وصححه ابن حبان وغيره.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطب باب ما جاء في العين (٩/٤ ح٣٨٨٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ يُؤْمَرُ الْعَائِنُ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِينُ». عثمان بْن محمد بْن أَبِي شَيْبَة إِبْرَاهِيم بن عثمان بن خوستي، أبو الحسن العبسي، مولاهم الكُوفيُّ، ثقة حافظ ربما وهم. ينظر: «تهذيب التهذيب»: (١٣٥/٧)، و«التقريب»: (ص ٣٨٦/ ٤٥١٣). وجرير: هو جرير بن عبد الحميد بن قُرْط الضَّبِّيُّ، ثقة صحيح الكتاب. قيل: كان في آخر عمره يهم من حفظه. ينظر: «تاريخ الإسلام»: (٩٣/١٢)، «تقريب التهذيب»: (ص ١٣٩/ ٩١٦). والأَعْمَشُ: هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، ثقة ثبت حافظ لكنه يدلس، وتدليسه هنا ليس بقادح. ينظر: «تهذيب التهذيب»:(١٩٥/٤)، و«التقريب»: (ص ٢٥٤/ ٢٦١٥). وإبراهيم: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، ثقة، إلا أنه يرسل كثيرًا، ورواياته عن الأسود ليست مرسلة. ينظر: «الجرح والتعديل»: (٤٧٣/١٤٤/٢)، «التقريب»: (ص ٩٥/ ٢٧٠). والأسود: هو الأسود بن يزيد بن قيس أبو عمرو النخعي، ثقةٌ مكثر مخضرم. ينظر: «تهذيب التهذيب»: (٣٤٢/١)، و«تقريب التهذيب»: (ص١١١/ ٥٠٩). وهو سند صحيح رواته جميعا ثقات، تحققت فيه شروط الصحة، وموافق للحديث المتقدم.

والمراد بالعائن هنا: الحاسد، وهو من نظر بعينه على وجه الاستحسان لغيره ولم يبارك[1].

واختلف في حكم هذا الغسل أو الوضوء، هو على جهة الندب والاستحباب أم الوجوب، والأمر على ظاهره للوجوب خاصة عندما يتعلق الأمر بحياة المحسود ونجاته، يصير أمرًا لازمًا، والله أعلم[2].

وحدوث الشفاء بصب الماء على المريض وجعله سببًا للشفاء لا يقتصر على داء العين فقط، فقد صح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم لمن أصيب بالغثيان والإغماء، حيث قال جابر: مَرِضْتُ مَرَضًا، فَأَتَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، «فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ» فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ[3]. والله أعلم.

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: (قَالَ الْعُلَمَاءُ: الِاسْتِغْسَالُ: أَنْ يُقَالَ لِلْعَائِنِ -وَهُوَ النَّاظِرُ بِعَيْنِهِ بِالِاسْتِحْسَانِ- اغْسِلْ دَاخِلَةَ إِزَارِكَ مِمَّا يَلِي الْجِلْدَ بِمَاءٍ، ثُمَّ يُصَبُّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَى الْمَعِينِ، وَهُوَ الْمَنْظُورُ إِلَيْهِ). ينظر: «المجموع شرح المهذب» (٦٨/٩).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (أَمْرُ الْعَائِنِ بِالِاغْتِسَالِ عِنْدَ طَلَبِ الْمُعَيُونِ مِنْهُ ذَلِكَ: فَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الِاغْتِسَالَ لِذَلِكَ كَانَ مَعْلُومًا بَيْنَهُمْ، فَأَمَرَهُمْ إِنْ لَا يَمْتَنِعُوا مِنْهُ إِذَا أُرِيدَ مِنْهُمْ، وَأَدْنَى مَا فِي ذَلِكَ رَفْعُ الْوَهْمِ الْحَاصِلِ فِي ذَلِكَ، وَظَاهِرُ الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَحَكَى الْمَازِرِيُّ فِيهِ خِلَافًا، وَصَحَّحَ الْوُجُوبَ، وَقَالَ: مَتَى خَشِيَ الْهَلَاكَ وَكَانَ اغْتِسَالُ الْعَائِنِ مِمَّا جَرَتِ الْعَادَةُ بِالشِّفَاءِ بِهِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ، وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ يُجْبَرُ عَلَى بَذْلِ الطَّعَامِ لِلْمُضْطَرِّ، وَهَذَا أَوْلَى). ينظر: «فتح الباري» (٢٠٤/١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى باب عيادة المغمى عليه (١١٦/٧ ح٥٦٥١)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفرائض باب ميراث الكلالة (١٢٣٤/٣ ح١٦١٦).

المبحث الثالث: الاستشفاء بالرقية بالماء.

الرقية: هي التعويذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى، والصرع، وغير ذلك من الآفات. وقد ثبتت الرقى في أحاديث كثيرة(١)، وأنها سبب من أسباب الشفاء، خاصة ما يكون بآيات القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢].

ومما ورد في ذلك من حديث ثابت قيس رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ – قَالَ: أَحْمَدُ وَهُوَ مَرِيضٌ – فَقَالَ: «اكْشِفِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ» ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِنْ بَطْحَانَ فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ(٢).

وقال الإمام ابن بطال رحمه الله: (فِي كُتُبِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَنْ يَأْخُذَ سَبْعَ وَرَقَاتٍ مِنْ سِدْرٍ أَخْضَرَ فَيَدُقُّهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِالْمَاءِ وَيَقْرَأُ فِيهِ آيَةَ

---

(١) هذا هو الراجح، وفي الجمع بين ما ورد من النهي عنها قال ابن الأثير: (أن الرقي يكره منها ما كان بغير اللسان العربي، وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة، وأن يعتقد أن الرقيا نافعة لا محالة فيتكل عليها، وإياها أراد بقوله «ما توكل من استرقى» ولا يكره منها ما كان في خلاف ذلك؛ كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله تعالى، والرقى المروية... وأما قوله «لا رقية إلا من عين أو حمة» فمعناه لا رقية أولى وأنفع. وهذا كما قيل: لا فتى إلا علي. وقد أمر عليه الصلاة والسلام غير واحد من أصحابه بالرقية. وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم). ينظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/٢٥٤-٢٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطب باب ما جاء في الرقى (١٠/٤ ح٣٨٨٥) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، وابْنُ السَّرْحِ، - قَالَ: أَحْمَدُ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، وقَالَ: ابْنُ السَّرْحِ - أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: ابْنُ صَالِحٍ: مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ.. فذكر الحديث. وأخرجه النسائي في الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة باب بأي اليدين يمسح المريض (٣٧٤/٩ ح١٠٧٨٩) أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، به بلفظه. وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان: كتاب الطب باب ذكر الخبر المدحض قول من نفى جواز اتخاذ النشرة للأعلاء (٤٣٢/١٣ ح٦٠٦٩) من طريق أبو الطاهر بن السرح عن ابن وهب به. وعلته من يوسف بن محمد بن ثابت ذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات". وقال ابن حجر: مقبول. وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما تقدم في التخريج. فالحديث حسن، ويشهد له ما أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم (١٣٣/٧ ح٥٧٤٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (١٧٢٤/٤ ح٢١٩٤). واللفظ له من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا «بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا».

الْكُرْسِيِّ وذوات «قل»، ثُمَّ يَحْسُوُ مِنْهُ ثَلَاثَ حَسَوَاتٍ ثُمَّ يَغْتَسِلُ بِهِ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ عَنْهُ كُلَّ مَا بِهِ إن شاء الله، وَهُوَ جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ إِذَا حُبِسَ عَنْ أَهْلِهِ)[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وَرَخَّصَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ فِي كِتَابَةِ بَعْضِ الْقُرْآنِ وَشُرْبِهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الشِّفَاءِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ)[2].

وممن رخص في هذا الإمام أحمد وغيره، فقد نقل الإمام ابن مفلح عنه: (فِي الرَّجُلِ يَكْتُبُ الْقُرْآنَ فِي إنَاءٍ ثُمَّ يَسْقِيهِ لِلْمَرِيضِ قَالَ: لَا بَأْسَ، قَالَ مِنْهَا قُلْت لَهُ: فَيَغْتَسِلُ بِهِ؟ قَالَ: مَا سَمِعْتُ فِيهِ بِشَيْءٍ. قَالَ الْخَلَّالُ: إنَّمَا كُرِهَ الْغُسْلُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ مَاءَ الْغُسْلِ يَجْرِي فِي الْبَالُوعِ وَالْحُشُوشِ فَوَجَبَ أَنْ يُنَزَّهَ مَاءُ الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يُكْرَهُ شُرْبُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ الِاسْتِشْفَاءِ. وَقَالَ صَالِحٌ: رُبَّمَا اعْتَلَلْتُ فَيَأْخُذُ أَبِي قَدَحًا فِيهِ مَاءٌ فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ لِي اشْرَبْ مِنْهُ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ وَيَدَيْكَ. وَنَقَلَ عَبْدُ اللَّهِ أَنَّهُ رَأَى أَبَاهُ يُعَوِّذُ فِي الْمَاءِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيَشْرَبُهُ وَيَصُبُّ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَرَأَيْتُهُ قَدْ أَخَذَ قَصْعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَلَهَا فِي جُبِّ الْمَاءِ ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا وَرَأَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ يَشْرَبُ مَاءَ زَمْزَمَ فَيَسْتَشْفِي بِهِ وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ)[3].

وفي عصرنا ينصح كثير من العلماء شرب الماء بعد تعريضه لذبذبات كهرطيسية، وهي ذبذبات يتأثر بها الماء ويتغير بها تركيبه الجزيئي، مما يعني أن الماء يتأثر بالصوت، أو الترددات الصوتية، حتى إنهم يستخدمون الصوت في تجميد الماء!

ولبيان تأثير ذبذبات القراءة على الماء استنتج أحد الباحثين بذلك: (عندما نقرأ القرآن الكريم على كأس من الماء وبصوت مرتفع قليلاً، ومن ثم نشرب هذا الماء

(١) ينظر: «شرح صحيح البخاري» ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) (٤٤٦/٩).

(٢) ينظر: «زاد المعاد» لابن القيم (٣٢٨/٤).

(٣) ينظر: «الآداب الشرعية والمنح المرعية» محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ) (٤٥٦/٢).

سوف يتمتع هذا الماء بخصائص جديدة؛ نتيجة هذا التأثير بذبذبات الصوت المنبعث في الماء، وبالنظر في الشكل الآتي:

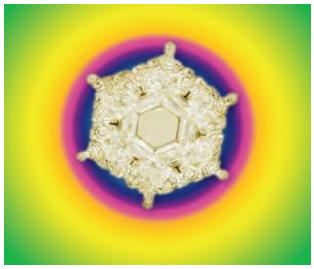

نرى صورة لبلورة ماء التقطت بتقنيات خاصة تظهر الشكل الرائع لهذه المادة العجيبة، ويؤكد العلماء أن أشكال هذه البلورات تتغير تبعاً لتأثير الترددات الصوتية عليها... ومن الممكن أن تتأثر هذه البلورات بكلام الله تعالى أثناء تلاوة القرآن عليها، وتتغير إلى الشكل المثالي الذي يجعلها قادرة على اختراق خلايا الإنسان والتأثير على المشاكل والاضطرابات وتنظم عمل هذه الخلايا وبالتالي تساعد على الشفاء بإذن الله!)[1].

ومما سبق نرى جواز الاستشفاء بالماء مقروءا عليه بعض آيات القرآن الكريم، فالشفاء بالقرآن وحده ثابت بالكتاب والسنة المطهرة، وكذلك الشفاء بالماء كما هو محل هذه الدراسة، فكيف إذا اجتمعا معًا!! والله تعالى نسأل التوفيق والقبول.

(١) ينظر بتصرف: «ما حقيقة العلاج بالماء؟» د عبد الدائم الكحيل.

المبحث الرابع: الاستشفاء بالإبراد بالماء للمحموم.

الحمى: مرض يحصل معه ارتفاع في حرارة جسم الإنسان، وقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم عندما يصاب أحدنا بالحمى أن يستشفي بالماء، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَابْرُدُوهَا بِالْمَاءِ»(١).

واختلف في نسبة الحمى إلى جهنم عافانا الله منهما، فقيل: هو على الحقيقة، وما يحصل في جسم المحموم من اللهب كأنه قطعة من النار، غير أن الله تعالى أراد بالمحموم ذلك لحكمة يعلمها. وقيل: ليس على وجه الحقيقة بل الخبر ورد مورد التشبيه، والمعنى: أن حر الحمى شبيه بحر جهنم؛ تنبيها للنفوس على شدة حر النار، وأن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها، وذهب الحافظ ابن حجر إلى ترجيح الرأي الأول، والله أعلم(٢).

وفي استعمال الماء للاستشفاء من الحمى تقول السيدة الفاضلة فَاطِمَة بِنْت المُنْذِر: أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَتْ إِذَا أُتِيَتْ بِالْمَرْأَةِ قَدْ حُمَّتْ تَدْعُو لَهَا، أَخَذَتِ المَاءَ، فَصَبَّتْهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَيْبِهَا، قَالَتْ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَبْرُدَهَا بِالْمَاءِ»(٣).

وهذا الاستشفاء يدخل في عموم ما روي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة (١٢١/٤ ح٣٢٦٤). وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (١٧٣١/٤ ح٢٢٠٩-٧٨).

(٢) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٧٥/١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب الحمى من فيح جهنم (١٢٩/٧ ح٥٧٢٤). وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (١٧٣٢/٤ ح٢٢١١-٨٢).

مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ اللهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَالْمَاءِ الْبَارِدِ اللهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ»(١).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَسُنَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ الْبَارِدَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنَ السَّحَرِ»(٢). ومعنى سن الماء: أي صبه في سهولة ويسر على الجسد.

وهذا كله تأكيد على أهمية الاستشفاء بالماء في حالة الحمى عافانا الله وإياكم، فقد يكون الشفاء بصب الماء على الجسد، وقد يكون بشربه باردا أو ساخنا.

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: (وقد تختلف أحوال المحمومين، فمنهم من يصلح أن يبرد بصب الماء عليه، وآخر يصلح بأن يشرب الماء، وزعم بعض

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع (٣٤٦/١ ح٤٧٦).
(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٢٥/٦ ح٣٧٩٤) حَدَّثَنَا هَارُونُ الْحَمَّالُ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ، فذكر الحديث. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب الطب باب ذكر وقت تبريد الحمى بالماء (٩٩/٧ ح٧٥٦٦) والحاكم في المستدرك: كتاب الطب (٤٤٧/٤ ح٨٢٢٦) من طريق عُبَيْد الله بْن مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، به بلفظه. هارون الحمال: هو ابن عبد الله بن مروان البغدادي، أبو موسى البزاز: ثقة. ينظر: «تهذيب الكمال»: (٩٦/٣٠)، و«تهذيب التهذيب»: (٩/١١). رَوْحُ بْنُ عُبَادَة بْن الْعَلَاء بْن حَسَّان الْقَيْسِيّ، أَبُو مُحَمَّد الْبَصْرِيّ، ثِقَة فَاضِل لَهُ تَصَانِيف، وما عابوه عليه لا يقدح في روايته وضبطه. ينظر: «تَهْذِيب التَّهْذِيب»: (٥٤٩/٢٥٣/٣)، و«تَقْرِيب التَّهْذِيب»: (ص ٢١١/ ١٩٦٢). وحميد: هو حميد بن أبي حميد الطويل الخزاعي، ثقة يدلس عن أنس، ولكن تدليسه عنه ليس بقادح؛ لأنه شيخه مكثرٌ في الرواية عنه، وصرح بالتحديث عنه في أحاديث كثيرة في «صحيح البخاري». فالحديث: صحيح، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. وقال الذهبي: على شرط مسلم.

العلماء أن بعض الحميات هي التي يجب إبرادها بالماء قال: وهي التي عنى النبي عليه السلام وهي الحميات الحادة التي يكون أصلها من الحر)[1].

ويرد هنا استشكال مفاده: أن استعمال المحموم للماء قد يودي به للهلاك، لأنه من باب مقابلة الأشياء بأضدادها، فكيف تقابل السخونة بالماء البارد، وقد أجاب العلماء عن ذلك بما خلاصته: أن الحديث لم يرد فيه التنصيص على غسل جميع جسد المحموم بالماء، وإنما أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: فأبردوها بالماء، إلى استعمال الماء فقط بالطريقة التي تنفع ولا تضر، فإن اقتضت المصلحة الطبية أن يكون الشفاء بالشرب فقط فلا مانع، وإن اقتضت أن يكون النفع بغمس جزء من الجسد فلا مانع، وإن اقتضت أن يكون النفع بغمس الجسد كله فهذا عائد للمصلحة الطبية[2].

وقيل: إنما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم أقوامًا اعتادوا على استعمال هذا الأمر، وقد يكون لهم من طرق الاستشفاء بالتجارب ما لا يكون لغيرهم[3]. والأول أولى، والله أعلم.

قال شمس الدين بن طولون[4]: (أجمع الأطباء أن الماء أنفع شراب المحمومين حمى حارة؛ لشدة لطافته وسرعة نفوذه وخفته على الطبع..)[1].

---

(١) ينظر: «شرح صحيح البخاري» ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) (٤٢١/٩).

(٢) ينظر باختصار رأي الإمام الخطابي في ذلك كما نقله الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٧٦/١٠).

(٣) قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: (فَإِن قيل: فَنحْن نجد عُلَمَاء الطِّبّ يمْنَعُونَ من اغتسال المحموم. وَيَقُولُونَ: لَا يجوز مُقَابلَة الْأَشْيَاء بأضدادها بَغْتَة. وَالرَّسُول عَلَيْهِ السَّلَام لَا يَقُول إِلَّا حِكْمَة وَحقا، وَقد ذكر عَن بعض من ينْسب إِلَى الْعلم أَنه حم فاغتسل، فاختفت الْحَرَارَة فِي بدنه، فَزَاد مَرضه، فَأخْرجهُ الْأَمر إِلَى أَشْيَاء أحْسنهَا التَّكْذِيب بِالْحَدِيثِ. وَالْجَوَاب: أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِنَّمَا خَاطب بِهَذَا أَقْوَامًا كَانُوا يعتادون مثل هَذَا فِي مثل تِلْكَ الْأَرْض، والطب يَنْقَسِم: فشيء مِنْهُ بِالْقِيَاسِ كطب اليونانيين، وَشَيْء مِنْهُ تجارب كطب الْعَرَب، وَالْعرب تستشفي بأَشْيَاء لَا توَافق غَيرهم). ينظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١٨٥/٢).

(٤) هو محمد بن علي بن أحمد بن حمّارويه بن طولون الدمشقي الصالحي، الإمام المؤرّخ، المحدّث، =

ويفصل الحافظ ابن حجر رحمه الله الصفة النافعة للاستشفاء بالماء فقال: (فِي الْحَدِيثِ الْإِرْشَادُ إِلَى تَبْرِيدِ الْحُمَّى بِالْمَاءِ فَإِنْ أَظْهَرَ الْوُجُودَ أَوِ اقْتَضَتْ صِنَاعَةُ الطِّبِّ أَنَّ انْغِمَاسَ كُلِّ مَحْمُومٍ فِي الْمَاءِ أَوْ صَبِّهِ إِيَّاهُ عَلَى جَمِيعِ بَدَنِهِ يَضُرُّهُ فَلَيْسَ هُوَ الْمُرَادُ وَإِنَّمَا قَصَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِعْمَالَ الْمَاءِ عَلَى وَجْهٍ يَنْفَعُ فَلْيُبْحَثْ عَنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ لِيَحْصُلَ الِانْتِفَاعُ بِهِ، وَهُوَ كَمَا وَقَعَ فِي أَمْرِهِ الْعَائِنِ بِالِاغْتِسَالِ، وَأَطْلَقَ، وَقَدْ ظَهَرَ مِنَ الْحَدِيثِ الْآخَرِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ مُطْلَقَ الِاغْتِسَالِ وَإِنَّمَا أَرَادَ الِاغْتِسَالَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَأَوْلَى مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ كَيْفِيَّةُ تَبْرِيدِ الْحُمَّى مَا صَنَعَتْهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَرُشُّ عَلَى بَدَنِ الْمَحْمُومِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَثَوْبِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ النَّشْرَةِ الْمَأْذُونِ فِيهَا، وَالصَّحَابِيُّ وَلَا سِيَّمَا مِثْلُ أَسْمَاءَ الَّتِي هِيَ مِمَّنْ كَانَ يُلَازِمُ بَيْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ مِنْ غَيْرِهَا)[٢].

الفقيه، صاحب «مفاكهة الخلّان في حوادث الزمان» ، و «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» ، و «إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين» ، وغير ذلك من الكتب النافعة المفيدة. ولد في شهر ربيع الأول من سنة ثمانين وثمانمائة في صالحية دمشق، ونشأ فاقد الأم، فقد ماتت والدته شهيدة بالطاعون وهو رضيع. وكانت أوقاته معمورة بالتدريس والإفادة، والتأليف والعبادة، وقد اشتغل في أثناء حياته بعدد كبير من العلوم وصنّف فيها، وكانت له وظائف عديدة أيضا، وكان متفرغا للعلم والعبادة، فلم تكن له زوجة ولا ولد. مات يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى من سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، ودفن بتربة أسرته في صالحية دمشق. ينظر: «شذرات الذهب» عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي (٧٩/١).

(١) ينظر: « المنهل الروي في الطب النبوي » شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي (المتوفى: ٩٥٣هـ) (٢٨٢/١).

(٢) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٧٦/١٠).

قلت: سبحان الله العظيم الذي جعل من الماء البارد دواء وشفاء، فهو من أنزل الداء وجعل الدواء بفضل كرمه وعظيم رحمته بعباده، وهذه الحمى التي أعجزت من يداويها يسخر الله تعالى الماء البارد لإذهاب ضررها وقتل أخطارها فيكون الماء سببًا شافيًا بإذن الله.

المبحث الخامس: الاستشفاء بماء الوضوء:

الوضوء عبادة إسلامية، وطهارة جسدية، وراحة وأمان، وحصانة من الشيطان، يلجأ إليه الإنسان فرضًا ووجوبًا عندما يريد الوقوف بين يدي الله تعالى، والوضوء أيضًا سلامة ووقاية، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ» قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا»[(١)].

والدرن: هو الوسخ، والمعنى أن استعمال الماء لغرض الوضوء خمس مرات في اليوم لا يبقي شيئا من الأوساخ التي هي مركز الميكروبات المضرة بالجسد، وبالتالي يصح الجسد ويصلح، هذا فضلا عما يحدث من تدليك لأعضاء الجسد أثناء الوضوء فيتوفر لها نشاطا وحيوية وسلامة غير مسبوقة، فغسل اليدين وتخليل الأصابع يحرك عضلات اليدين والساعدين، والمضمضة تحرك عضلات الوجه والفكين، والاستنثار يحرك عضلات الرقبة والظهر عند الانحاء، ومسح الرأس له فوائده في تحريك الجزء العلوي من البدن[(٢)]، كل ذلك له تأثير بلا شك في صحة هذه الأعضاء وسلامة الجسد من الأمراض، وكلها مبنية على استعمال الماء.

ومما يفيد به ماء الوضوء في الاستشفاء ما جاء في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضًا، فَأَتَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة (١١٢/١ ح٥٢٨). وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا (٤٦٢/١ ح٦٦٧).

(٢) ينظر باختصار: «رحلة إيمانية مع الإعجاز الطبي في السنة النبوية» سالم عبد الكريم ندا (ص٩٧).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، «**فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ**» فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ[1].

هنا عالج النبي صلى الله عليه وسلم جابرًا بصب ماء الوضوء عليه، قال الإمام ابن بطال رحمه الله: (وضوء العائد للمريض إذا كان إماما في الخير، ورئيسًا في الفضل يتبرك به، وصبه عليه مما يرجى نفعه، وقد يمكن أن يكون مرض جابر الذى صب عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– الماء من الحمى الذى أمر النبي بإبرادها بالماء؛ لأنها من فيح جهنم، فتكون صفة من الإبراد هكذا أن يتوضأ الرجل الفاضل ويصب ذلك الماء الذي طار من وضوئه على المريض)[2].

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ، «فَمَسَحَ رَأْسِي، وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ»[3]. وهنا عالج النبي صلى الله عليه وسلم المريض بشرب ماء الوضوء.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى باب عيادة المغمى عليه (١١٦/٧ ح٥٦٥١). وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفرائض باب ميراث الكلالة (١٢٣٤/٣ ح١٦١٦).

(٢) ينظر: «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (٣٩٢/٩)، ونقله ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) في كتابه: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣٢٩/٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضى باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له (١٢٠/٧ ح٥٦٧٠). وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وصفته (١٨٢٣/٤ ح٢٣٤٥).

قال الإمام ابن بطال رحمه الله: (لا بأس بالذهاب بالصبيان إلى الصالحين وأهل الفضل، رغبة في بركة دعائهم والانتفاع بهم، ألا ترى أن هذا الصبي مسح النبي عليه السلام رأسه ودعا له، وسقاه من وضوئه فبريء، حتى قام خلف ظهره عليه السلام، ورأى بين كتفيه خاتم النبوة. وفيه أن شرب صاحب الوجع من وضوء الرجل الفاضل مما يذهب وجعه)(١).

قلت: وفي هذه الأحاديث انتفع المريض بفضل الماء المتبقي من الوضوء، وأثر ذلك على سلامته، وهي بركة من بركات ذلك الماء الطاهر، ولا ريب في ذلك، وليس الأمر خاصًّا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقد صرح الأئمة الشراح باستحباب ذلك من الرجل الصالح، كما يستحب ذلك من الصالحين في تحنيك المولود، وهي سنة أيضًا غير مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

ويدخل في ذلك العلاج بالماء الذي لامسه الإنسان بيده كالمتوضئ، أو ما يتبقى من سؤره فإنه نافع في جلب المحبة وتأليف القلوب. وهو ما يسمى بشحن الماء بالطاقة الإنسانية، وأصل هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه: من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ»(٢).

وهذا الحديث يبرز لنا قيمة المواقف الإنسانية، والمشاعر الزوجية الصادقة التي تكفل السكن الحقيقي والمودة الدائمة بين الزوجين، إذ راعى نبينا صلى الله عليه وسلم الحالة النفسية للزوجة في أوقات الحيض، وليتنا نقتفي أثره في مراعاة ذلك!.

---

(١) ينظر: «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (٣٨٦/٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (٢٤٥/١ ح٣٠٠-١٤).
وينظر: «العلاج بالماء أسراره وفوائده» د محمد كمال (ص١٤).

المبحث السادس: الاستشفاء بالماء مخلوطا بغيره.

الاستشفاء بالماء لا يقتصر على مجرد استعماله بحالته الطبيعية النقية الخالصة، بل تتعدد فوائده بتعدد استعمالاته، حتى ولو اختلط بالتراب فلا تنفك عنه فوائده العلاجية!

ومما ورد في ذلك من حديث ثابت بن قيس رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ – قَالَ: أَحْمَدُ وَهُوَ مَرِيضٌ – فَقَالَ: «اكْشِفِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ» ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِنْ بَطْحَانَ فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ(١).

ويشهد لهذا ما أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا «بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»(٢).

فانظر كيف انتفع بالماء مخلوطا بغيره، وأصبح الشفاء بأخذ ريق الإنسان ووضعه على الإصبع وخلطه بالتراب فإذا علق به شيء يقوم بمسح موضع الألم به فيشفى بإذن الله!.

ولهذا نجد كثرة مخالطة الماء لكثير من المواد الغذائية النافعة، بل ودخوله في كثير من العمليات الكيمائية والفيزيائية التي تدخل في التركيبات الطبية، فنحن

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الطب باب ما جاء في الرقى (١٠/٤ ح٣٨٨٥) بإسناد حسن، تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم (١٣٣/٧ ح٥٧٤٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (١٧٢٤/٤ ح٢١٩٤).

الآن نجد التركيبات الطبية لا يكاد يخلو منها نسبة من الماء، فهو داخل أصالة في جميع الأنظمة الغذائية النافعة، وبالتالي لا تقتصر منفعته على صورته الأصيلة الشفافة المعروف بها، وهذا يوافق ويؤكد سرًّا أراده الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ومن فوائد الاستشفاء بالماء مخلوطا بغيره: قال شمس الدين بن طولون: (أجمع الأطباء أن الماء أنفع شراب المحمومين حمى حارة لشدة لطافته وسرعة نفوذه وخفته على الطبع، وقد يحتاج الماء في بعض الأحوال إلى ما يقوي تبريده فيضاف إليه الثلج أو إلى قوة تنفيذه فيضاف إليه الخل وإلى ما يرطبه ويوصله إلى متون الأعضاء ويضاف إليه السكر، وقد يصلح الخل بالسكر والسكر بالخل، ويسمى شراب السكنجين وهو أنفع شراب للحمى المادية لتقطيعه وتفتيته، وذلك أن الحميات أجناس منها حمى يوم وتزول في الغالب فيه وتمتد إلى ثلاثة أيام، فإن –تعلقت– بأخلاط سميت عفنة وإن تعلقت بالأعضاء الأصلية سميت حمى دق)[1].

ومن خلال النظر في الأمور العلمية المتعلقة بفوائد الماء العلاجية يظهر لنا أن الماء بجميع حالاته: سواء أكان باردًا أم مثلجًا، أم دافئًا أم ساخنًا.. لكل حالة من هؤلاء فوائد واستخدامات علاجية متنوعة، بل من جميل صنع الله تعالى

(١) ينظر: « المنهل الروي في الطب النبوي » لابن طولون الصالحي (٢٨٢/١).

أن مجرد رؤية الماء سبب من أسباب صفاء الذهن وراحة البال وهدوئه، ولعلك تجد ذلك عندما تخلو برؤية الماء في مكان هادئ، بل ومجرد السباحة في الماء تجد العديد من الفوائد الطبية للجسد والأعصاب، وهكذا لا يخلو الماء من المنافع، ولا تقف فوائده يوما عن العطاء، وسبحان من خلق فسوى، وعلم فهدى!.

المبحث السابع: الاستشفاء بماء الكمأة

الكمأة: نبات يشبه البطاطس أو البطاطا، ينبت في الأرض من غير أن تزرع، ولا ورق لها، ولا ساق، وسميت كمأة لاستتارها، ومنه كمأ الشهادة: إذا سترها وأخفاها، وهي مما يوجد في أيام الربيع، وتؤكل نيئًا ومطبوخًا، وتسميها العرب بنات الرعد؛ لكونها تكثر بكثرة الرعد، وهي كثيرة بأرض العرب، خاصة الرملية قليلة الماء، ويوجد منها بالشام ومصر(١).

ومما ورد في الاستشفاء بماء الكمأة: عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**(٢).

وفي سبب تشبيهها بالمن قولان:

الأول: أن المنّ مما منّ الله به على بني إسرائيل، وفيه الحلو وغيره، وهو مصدر بمعنى المفعول، أي ممنون به على العباد، قال ابن القيم رحمه الله: (فكل ما رزقه الله العبد عفوا بغير كسب منه ولا علاج، من محض، وإن كانت سائر نعمه منا منه على عبده، فخص منها مالا كسب له فيه، ولا صنع باسم المن، فإنه من بلا واسطة العبد، وجعل سبحانه قوتهم بالتيه الكمأة، وهي تقوم مقام الخبز، وجعل أدمهم السلوى، وهو يقوم مقام اللحم، وجعل حلواهم الطل الذي ينزل على الأشجار يقوم لهم مقام الحلوى، فكمل عيشهم)(٣).

---

(١) ينظر: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي المعروف بابن البيطار (٣٤٣/٤)، و«الطب النبوي» لابن القيم (ص٢٧٣)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٦٤/١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن باب وقوله تعالى: {وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى} (١٨/٦ ح٤٤٧٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة بَابُ فَضْلِ الْكَمْأَةِ، وَمُدَاوَاةِ الْعَيْنِ بِهَا (١٦١٩/٣ ح٢٠٤٩-١٥٧).

(٣) ينظر: «الطب النبوي» لابن القيم (ص٢٧٤).

والثاني: أنه شبه الكمأة بالمن المنزل من السماء، لأنه يجمع من غير تعب ولا كلفة ولا زرع بزر ولا سقي. قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: (يُقَال وَالله أعلم إِنَّه إِنَّمَا شبهها بالمن الَّذِي كَانَ يسْقط على بني إِسْرَائِيل؛ لِأَن ذَلِك كَانَ ينزل عَلَيْهِم عفوا بِلَا علاج مِنْهُم، إِنَّمَا كَانُوا يُصْبِحُونَ وَهُوَ بأفنيتهم فيتناولونه، وَكَذَلِكَ الكمأة لَيْسَ على أحد مِنْهَا مُؤْنَة فِي بذر وَلَا سقي وَلَا غَيره، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْء ينبته اللَّه فِي الأَرْض حَتَّى يصل إِلَى من يجتنيه)[1].

قلت: وفي هذا التوجيه النبوي الكريم إرشاد لاستعمال مائها كعلاج لأمراض العيون، ولم يحدد الحديث الشريف تخصيص هذا الماء بالنفع بمفرده أم مخلوطًا بغيره، كما لم يحدد أنواع الأمراض التي يشفى بهذا الماء، وهذا العموم مما يدل على شمول النفع لكل ذلك، وما ذلك على الله بعزيز.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كيفية الاستشفاء بماء الكمأة: (فيه ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنَّ ماءَها يُخلَط في الأدوية التي يُعالَج بها العَيْنُ، لا أنه يُستعمل وحده، ذكره أبو عُبيد. **الثاني:** أنه يُستعمل بحْتاً بعد شَيِّها، واستقطار مائها؛ لأنَّ النار تُلطِّفه وتُنضجه، وتُذيبُ فضلاتِه ورطوبتَه المؤذية، وتُبقي المنافع. **الثالث:** أنَّ المراد بمائها الماءُ الذي يحدث به من المطر، وهو أولُ قَطْر ينزل إلى الأرض، فتكون الإضافة إضافةَ اقتران، لا إضافة جزء، ذكره ابن الجوزي، وهو أبعدُ الوجوه وأضعفها. وقيل: إن استُعمل ماؤها لتبريد ما في العَيْن، فماؤها مجرَّداً شفاء، وإن كان لغير ذلك، فمركَّب مع غيره. وقال الغافقي: ماء الكمأة أصلح الأدوية للعَيْن إذا عُجِنَ به الإثمِد واكتُحِلَ به، ويُقوِّى أجفانها، ويزيدُ الروحَ الباصرة قوةً وحِدَّة، ويدفع عنها نزول النوازل)[2].

---

(١) ينظر: «غريب الحديث» أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) (١٧٣/٢).

(٢) ينظر: «الطب النبوي» لابن القيم (ص٢٧٢).

وجزم الإمام النووي رحمه الله بنفع الاستشفاء بمائها مجردا، فقال: (وَالصَّحِيحُ بَلِ الصَّوَابُ: أَنَّ مَاءَهَا مُجَرَّدًا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ مُطْلَقًا، فَيُعْصَرُ مَاؤُهَا وَيُجْعَلُ فِي الْعَيْنِ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا وَغَيْرِي فِي زَمَنِنَا مَنْ كَانَ عَمِيَ وَذَهَبَ بَصَرُهُ حَقِيقَةً، فَكَحَّلَ عَيْنَهُ بِمَاءِ الْكَمْأَةِ مُجَرَّدًا فَشُفِيَ، وَعَادَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ، وَهُوَ الشَّيْخُ الْعَدْلُ الْأَيْمَنُ الْكَمَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدِّمَشْقِيُّ، صَاحِبُ صَلَاحٍ وَرِوَايَةٍ لِلْحَدِيثِ، وَكَانَ اسْتِعْمَالُهُ لِمَاءِ الْكَمْأَةِ اعْتِقَادًا فِي الحديث وتبركًا به، والله أعلم)[١].

وقيل: إن المراد أن ماءها شفاء من داء العين، أراد العين التي هي النظرة للشيء يتعجب منه، ودليل ذلك قوله في رواية أخرى: "شفاء من العين"[٢].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وَقَدِ اعْتَرَفَ فُضَلَاءُ الْأَطِبَّاءِ بِأَنَّ مَاءَهَا يَجْلُو الْعَيْنَ)[٣].

ونقل الحافظ ابن حجر كلام الإمام ابن القيم قائلا: (وَالَّذِي يُزِيلُ الْإِشْكَالَ عَنْ هَذَا الِاخْتِلَافِ أَنَّ الْكَمْأَةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ خُلِقَتْ فِي الْأَصْلِ سَلِيمَةً مِنَ الْمَضَارِّ ثُمَّ عَرَضَتْ لَهَا الْآفَاتُ بِأُمُورٍ أُخْرَى مِنْ مُجَاوَرَةٍ أَوِ امْتِزَاجٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَالْكَمْأَةُ فِي الْأَصْلِ نَافِعَةٌ لِمَا اخْتَصَّتْ بِهِ مِنْ وَصْفِهَا بِأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا عَرَضَتْ لَهَا الْمَضَارُّ بِالْمُجَاوَرَةِ، وَاسْتِعْمَالُ كُلِّ مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ بِصِدْقِ يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ يَسْتَعْمِلُهُ، وَيَدْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ الضَّرَرَ بِنِيَّتِهِ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[٤].

---

(١) ينظر: «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنووي (٥/١٤).

(٢) ذكره ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) في كتابه: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٤٣٢/٢٧).

(٣) ينظر: «الطب النبوي» لابن القيم (ص٢٧٤).

(٤) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٦٥/١٠). وينظر: جريدة الرياض، الاثنين ٥ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٦م - العدد ١٤٠٦٣ ، عنوان المقال: ماء الكمأة يشفي العين ويقوي الباءة ويعالج هشاشة الأظافر- د جابر بن سالم القحطاني.

قلت: وهذا تحرير جيد؛ فاستعمال الأشياء التي وضعها الله تعالى سببا للشفاء مما ورد بها الأحاديث الصحيحة والأخبار، وتناقلتها التجارب والآثار، مع النية الصادقة السليمة الخالصة الجازمة أن النافع والضار هو الله تعالى، وأن النفع بفضله وقدره، فهو هنا لم يستعمل سببا واحدا للشفاء بل ضم إليه اليقين وحسن الظن بالله تعالى، وهو بهذا جمع بين الأسباب الحسية والإيمانية في طلب الشفاء، ومن أخذ بهما لا يرتد إليه طرفه خاويًا من العطاء، والله تعالى أكرم مسؤول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الثامن: الاستشفاء بالماء من الخطايا والذنوب.

من المعلوم أن الخطايا والذنوب من أكبر أمراض القلوب، قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[المطففين:١٤]، وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ.. الحديث»(١). ولا شك أن الطهارة المعنوية لها أثر في سلامة الإنسان من الأمراض الباطنية التي قد ترسبت بسبب الذنوب والمعاصي، ولا علاج لها بغير توبة صادقة، وإنابة خاشعة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل الماء ليعلم أمته الخلاص من هذه الذنوب التي تطبع على القلب فتحجب عنه بصيرته، وتطفيء عنه نوره، فكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ»(٢).

وفي رواية عند مسلم من حديث عبد الله بن أوفى رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ اللهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَالْمَاءِ الْبَارِدِ اللهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ»(٣).

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم للموتى، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا (١٢٨/١ ح١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان باب ما يقول بعد التكبير (١٤٩/١ ح٧٤٤). وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة (٤١٩/١ ح٥٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع (٣٤٦/١ ح٤٧٦).

دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ – أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ –» قَالَ: «حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ»(١).

وفي سر الجمع بين هذه الثلاث ووصف الماء بالبرودة قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (كَأَنَّهُ جَعَلَ الْخَطَايَا بِمَنْزِلَةِ جَهَنَّمَ لِكَوْنِهَا مُسَبَّبَةً عَنْهَا فَعَبَّرَ عَنْ إِطْفَاءِ حَرَارَتِهَا بِالْغَسْلِ، وَبَالَغَ فِيهِ بِاسْتِعْمَالِ الْمُبَرِّدَاتِ تَرَقِّيًا عَنِ الْمَاءِ إِلَى أَبْرَدَ مِنْهُ)(٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (الثَّلْجُ لَهُ فِي نَفْسِهِ كَيْفِيَّةٌ حَادَّةٌ دُخَّانِيَّةٌ، فَمَاؤُهُ كَذَلِكَ وَقَدْ تَقَدَّمَ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي طَلَبِ الْغَسْلِ مِنَ الْخَطَايَا بِمَائِهِ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ مِنَ التَّبْرِيدِ وَالتَّصْلِيبِ وَالتَّقْوِيَةِ، وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا أَصْلُ طِبِّ الْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ، وَمُعَالَجَةِ أَدْوَائِهَا بِضِدِّهَا. وَمَاءُ الْبَرَدِ أَلْطَفُ وَأَلَذُّ مِنْ مَاءِ الثَّلْجِ، وَأَمَّا مَاءُ الْجَمْدِ وَهُوَ الْجَلِيدُ، فَبِحَسَبِ أَصْلِهِ. وَالثَّلْجُ يَكْتَسِبُ كَيْفِيَّةَ الْجِبَالِ وَالْأَرْضِ الَّتِي يَسْقُطُ عَلَيْهَا فِي الْجَوْدَةِ وَالرَّدَاءَةِ، وَيَنْبَغِي تَجَنُّبُ شُرْبِ الْمَاءِ الْمَثْلُوجِ عَقِيبَ الْحَمَّامِ وَالْجِمَاعِ وَالرِّيَاضَةِ وَالطَّعَامِ الْحَارِّ، وَلِأَصْحَابِ السُّعَالِ، وَوَجَعِ الصَّدْرِ، وَضَعْفِ الْكَبِدِ، وَأَصْحَابِ الْأَمْزِجَةِ الْبَارِدَةِ)(٣).

وبجانب هذا الإرشاد النبوي في تطهير الذنوب بالماء والثلج فإن الثلج له كثير من الفوائد الطبية، وله عديد من الاستعمالات في الاستشفاء من بعض الأمراض، "فالثلج يقلل نزيف الدم، فيمكن استعماله في وقف نزيف الأنف أو

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز باب الدعاء للميت في الصلاة (٦٦٢/٢ ح٩٦٣).
(٢) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢٣٠/٢).
(٣) ينظر: «زاد المعاد» لابن القيم (٣٥٩/٤).

الذقن، بربط بقطعة قماش ووضعه مكان النزيف، وهو مقاوم للتورمات، ويساعد في تقوية عضلات الوجه ولأغراض التجميل، ويساهم في تسكين آلام المفاصل، بجانب حمايته للجسم من الحرارة الزائدة"(١).

(١) ينظر بتصرف: «العلاج بالماء» د/محمد السقا عيد (ص٣٢).

الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين، وحده له الكمال، وصلاة وسلامًا على النبي المصطفى الهادي إلى كل كمال، وبعد،

فمن خلال هذه الرحلة الماتعة مع كنوز السنة النبوية نستخلص **النتائج التالية**:

١- قيمة نعمة الماء الكبرى التي جعلها الله سبحانه آية على عظمته وقدرته، وأنموذجًا على حكمته ودقة صنعته، فهو أصل الحياة التي تجلب بقية النعم.

٢- استخدم الماء للشفاء في الأحاديث النبوية لكثير من الأغراض والأمراض، الحسية والمعنوية، كما تبين لنا من خلال هذه الدراسة، كمعالجة ماء زمزم للحمى، والصداع، وضعف البصر، وضعف طلب العلم بالقدرة على التحصيل العلمي وتنشيط الذاكرة، وعلاج السرطان والاستشفاء من الحمى، والحسد، وغير ذلك[1]، وهي غيض من فيض، وليس الوقت والمجال يسمح أن نسرد جميع ما ورد في ذلك..

٣- أن العلم الحديث بآلاته وإمكاناته قد سجل في معامله صدق ما ألمحت إليه الآيات القرآنية وما أنبئت عنه الأحاديث النبوية في بيان أهمية الماء كسبب للتداوي وسبيل للشفاء، ومن أمثلة ذلك: قال أحد الباحثين: (يستخدم اليوم العلماء الماء المقطر أي المنقى كمادة مطهرة في المشافي، وكذلك يستخدمون الماء المنقى في علاج بعض الأمراض، ويقولون إن الماء المقطر يحوي طاقة كبيرة في داخله والتي يستفيد منها الإنسان لدى شربه

(١) ينظر الفصل الثاني من هذا البحث (ص٢٤-٤٥).

كل يوم لتراً منه. ويقول الباحثون إن للماء خصائص مذهلة تتجلى في قدرته العلاجية والشفائية من كثير من الأمراض. حتى إن بعضهم يقترح طريقة للعلاج بالماء حيث ينصح بأن يتناول الإنسان كل يوم لتراً من الماء صباحاً ويبقى دون طعام حتى ساعة متأخرة لضمان تغلغل الماء وتشرب الخلايا لهذا الماء، ويستمر هذا البرنامج العلاجي لمدة عشرين يوماً أو لمدة شهر كامل)[١].

ومن أمثلة الأمراض المعالجة بالماء: أمراض السموم بكافة أنواعها وصورها، فإن شرب كوب من الماء يستطيع أن يزيل بعض السموم التي تحدث من إفرازات الجسم[٢].

ومن أنواع استخدامات الماء في الطرق العلاجية: حمامات المياه المعدنية: ومن هذه الحمامات:

- مياه حلون الكبريتية: وتفيد في الروماتيزم وعرق النسا وأمراض الكبد وأمراض الكلى والزهري وغيرها.
- ماء شاتلجيون بفرنسا: وهي تخرج من ٢٨ ينبوعا، وتنتج نحو خمسة ملايين لتر في اليوم الواحد، وتنفع المعمورين والمحمومين ومرضى الدروستتاريا والأعور والكبد المستقيم.
- مياه مندر بفرنسا: تعالج الربو العصبي وأمراض الأذن والأنف والحنجرة وغيرها.

(١) ينظر: «ما حقيقة العلاج بالماء؟» م/ عبد الدائم الكحيل. مقال بموقع أسرار الإعجاز العلمي، بتاريخ ٤-١٢-٢٠١٢م .

(٢) ينظر: «التخلص من السموم بواسطة الماء» جين سكريفنر (ص١٤).

- مياه كونتريكفيل بفرنسا: تفيد في إدرار البول والنقرس، والتهاب المثانة المزمن وتضخم البروستاتا[1].

كذلك ما تفيده مياه البحر من تأثير على سلامة جلد الإنسان وصلاحه، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (فَالِاغْتِسَالُ بِهِ نَافِعٌ مِنْ آفَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي ظَاهِرِ الْجِلْدِ)[2].

ومما تفيده هذه المياه أيضاً:

- -تفيد في خفض التوتر النفسي والضغط العصبي.
- -تساعد على تنشيط الدورة الدموية.
- -تفيد في علاج تقلصات العضلات.
- -تفيد في علاج حب الشباب وحبوب الوجه بصفة عامة.
- -تفيد في علاج حساسية الجلد.
- تساعد على الشفاء من مرض الروماتيزم (التهاب المفاصل)[3].

٤- أن نظرة السنة النبوية إلى الماء كانت نظرة بعيدة الآفاق، متكاملة الخطوات، تعدت حدود الزمان والمكان، لتأتي معاصرة للأحداث، متوافقة مع الطبيعة الجغرافية والحدث التاريخي..

(١) ينظر بتصرف: «العلاج بالماء» د/محمد السقا عيد (ص١٤-١٥).

(٢) ينظر: «زاد المعاد» لابن القيم (٣٦٢/٤).

(٣) ينظر بتصرف: «العلاج بالماء» د/محمد السقا عيد (ص١٦) نقلا عن مجلة العربي الكويتية العدد (٤٥٨) يناير ١٩٩٧م. وينظر للاستفادة والمزيد: ماهر حسن محمود «الطب البديل العلاج بالماء قديما وحديثا» (ص١١٢) وما بعدها.

وهذا وإن دلَّ فإنما يدلك على أن السنة النبوية لم تخرج إلا من مشكاة الوحي الإلهي الذي اخترق علمه الحجب، وأتقنت حكمته قواعد التعامل مع الموارد الطبيعية بصورة مثالية دقيقة، تضمن حق الانتفاع الأمثل بها، والمحافظة الدائمة على مواردها.

◄ومما ينبغي التنبيه إليه قبل مغادرة هذا السفر الطيب ما ذكره الإمام المازري رحمه الله بقوله: (وَلَا شَكَّ أَنَّ عِلْمَ الطِّبِّ مِنْ أَكْثَرِ الْعُلُومِ احْتِيَاجًا إلَى التَّفْصِيلِ، حَتَّى أَنَّ الْمَرِيضَ يَكُونُ الشَّيْءُ دَوَاءَهُ فِي سَاعَةٍ ثُمَّ يَصِيرُ دَاءً لَهُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ، مِنْ غَضَبٍ يَحْمِي مِزَاجَهُ مَثَلًا فَيَتَغَيَّرُ عِلَاجُهُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، فَإِذَا فُرِضَ وُجُودُ الشِّفَاءِ لِشَخْصٍ بِشَيْءٍ فِي حَالَةٍ مَا، لَمْ يَلْزَمْ مِنْهُ وُجُودُ الشِّفَاءِ بِهِ لَهُ أَو لغيره فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، وَالْأَطِبَّاءُ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْمَرَضَ الْوَاحِدَ يَخْتَلِفُ عِلَاجُهُ بِاخْتِلَافِ السِّنِّ وَالزَّمَانِ وَالْعَادَةِ وَالْغِذَاءِ الْمُتَقَدِّمِ وَالتَّأْثِيرِ الْمَأْلُوفِ وَقُوَّةِ الطِّبَاعِ..)[1].

فهذه خلاصة في هذا الباب مهمة جدًّا، فليس لزامًا أن يأتي الشفاء بكل هذه الأنواع التي جعلها الله تعالى سببًا للشفاء، وليس بلازم أن يأتي الشفاء مع أول جرعة ماء، إن الله تعالى سبب الأسباب ووضع لها قدرًا ووقتًا لا يتخلّف، وكل شيء بقدر الله تعالى وقضائه، يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء، لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه!.

(١) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٧٦/١٠).

◄ **ومن أهم توصيات البحث**:

١- ربط العلوم الشرعية بالعلوم التجريبية في جميع النواحي التي يمكن فيها الجمع بينهما.

٢- تسليط الضوء على كنوز السنة النبوية التي تعرضت للعناصر البيئية الطبيعية والاستفادة منها في إثراء الأبحاث العلمية.

٣- استقراء الأحاديث النبوية في أبواب الطب والاستشفاء، ودراستها دراسة دقيقة، والربط بينها وبين تطبيقاتها وآثارها في العلم الحديث.

٤- استقراء الأحاديث النبوية التي تناولت قضية الماء بصورة عامة ثم تبويبها وتقسيمها على حسب موضوعاتها؛ لبيان أثرها في الأحكام الفقهية والطبية.

٥- عقد المؤتمرات السنوية لمناقشة أهم القضايا المتعلقة بالسنة النبوية وإبرازها للباحثين في صورة دوريات أو أبحاث علمية تيسر الاستفادة منها.

٦- تبادل المجلات العلمية المتعلقة بالأبحاث الأكاديمية في مجالات العلوم الشرعية المختلفة مع مثيلاتها من الأبحاث العلمية التجريبية؛ لتتواصل حلقات العلم وتكوين شراكة بحثية نافعة.

وبعد: فهذا جهدٌ متواضعٌ أُقَدِّمُهُ بين يديْ قارئه الكريم، واللهَ عزَّ وجلَّ أسألُ ألَّا يُعَذِبَّ يَدًا كتبت تريدُ الدِّفَاعَ عن شَرِيعَتِهِ، ولا لسانًا نطقَ بالذَّبِّ عنْ سنةِ نبيهِ صلى الله عليه وسلم، وأن يجعل هذا العملَ خالصًا لوجهه الكريم، مستشفعًا به عنده للفوز برضوانه في جنات النعيم، وأن ينفع به صاحبه، وكاتبه، وقارئه، في الدنيا والآخرة، اللهم آمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية: فريد الأنصاري ط: مطبعة النجاح – الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.

٣- الأحاديث المختارة: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ). دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ط عالم الكتب بدون تاريخ النشر.

٥- الأذكار للنووي ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٦- الإرشاد في معرفة علماء الحديث. المؤلف : الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى. الناشر : مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ. تحقيق : د. محمد سعيد عمر إدريس.

٧- الأمالي المطلقة- المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)- المحقق: حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل السلفي- الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ -١٩٩٥م

٨- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير- المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (- لمتوفى: ٨٠٤هـ)

٩- الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض-السعودية- الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٠- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. المؤلف: شمس الدين الذهبي.

المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف. الناشر: دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

١١- التاريخ الكبير للبخاري ط دائرة المعارف العثمانية.

١٢- تاريخ بغداد-المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)

١٣- المحقق: الدكتور بشار عواد معروف-الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

١٤- التخلص من السموم بواسطة الماء ل جين سكريفنر ترجمة مكتبة جرير ط الأولى ٢٠٠٨م.

١٥- تقريب التهذيب. المؤلف: ابن حجر العسقلاني. المحقق: محمد عوامة. الناشر: دار الرشيد - سوريا. الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م

١٦- تهذيب التهذيب. المؤلف: ابن حجر العسقلاني. مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند. الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المؤلف: أبو الحجاج المزي. المحقق: د. بشار عواد معروف. الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.

١٨- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن. ط دار النوادر، دمشق - سوريا-الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٩- الثقات. المؤلف: ابن حبان البُستي. طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية. تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

٢٠- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي المعروف بابن البيطار دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م.

٢١- الجبال والأودية والمياه. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ): ط: دار الفضيلة للنشر بالقاهرة ١٩٩٩م.
٢٢- الجرح والتعديل. المؤلف: ابن أبي حاتم الرازي. الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م.
٢٣- دورة الماء بين العلم والإيمان ل المهندس عبد الدائم الكحيل. نشر في ٥ أغسطس، ٢٠١٩م.
٢٤- رحلة إيمانية مع الإعجاز الطبي في السنة النبوية سالم عبد الكريم ندا، ط دار ابن رواحة ط١ ٢٠٠٨م.
٢٥- زاد المعاد في هدى خير العباد ابن قيم الجوزية ط مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت– الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٢٦- سنن ابن ماجه: ط دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي– عدد الأجزاء: ٢
٢٧- سنن أبي داود: الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٢٨- سنن الترمذي: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر–الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
٢٩- السنن الكبرى للنسائي: الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٠- سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني– المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)–المحقق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر– الناشر: مكتبة المعارف – الرياض–الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤
٣١- شذرات الذهب عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ط دار

ابن كثير، دمشق – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
٣٢- شرح صحيح البخاري لابن بطال مكتبة الرشد – السعودية، الرياض– الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٣٣- شعب الإيمان للبيهقي ط كتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند– الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م
٣٤- صحيح البخاري: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)– الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٣٥- صحيح مسلم: الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–عدد الأجزاء: ٥
٣٦- الطب البديل العلاج بالماء قديما وحديثا ماهر حسن محمود ط دار الندى الاسكندرية ٢٠٠٦م.
٣٧- الطب النبوي لابن القيم ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٣٨- العلاج بالماء أسراره وفوائده، د محمد كمال، سلسلة المعرفة للجميع ط الدار الذهبية.
٣٩- العلاج بالماء د/محمد السقا عيد بحث منشور على صفحات موقع الألوكة بتاريخ ١١-٩-٢٠١٣م.
٤٠- غريب الحديث للقاسم بن سلام مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن–الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.
٤١- فتح الباري ابن حجر العسقلاني ط دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. المؤلف: شمس الدين الذهبي. المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب. الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة. الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.
٤٣- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ط دار الوطن بالرياض.
٤٤- ما حقيقة العلاج بالماء؟ د عبد الدائم الكحيل مقال بموقع أسرار الإعجاز

العلمي، بتاريخ ٤-١٢-٢٠١٢م وهو مخصص للأبحاث العلمية في مجال الإعجاز العلمي.

٤٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، ط كتبة القدسي، القاهرة- عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

٤٦- المجموع شرح المهذب للنووي ط دار الفكر- (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي).

٤٧- المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمدين/ طه عثمان الفراء ط دار المريخ الطبعة: الرابعة ردمك: ٢ - ٥٠١ - ٢٤ - ٩٩٦٠).

٤٨- المستدرك على الصحيحين- المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

٤٩- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه- المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)- المحقق: محمد المنتقى الكشناوي- الناشر: دار العربية – بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ

٥٠- معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم» محمد أبو المحاسن عصفور ط دار النهضة العربية -بيروت- لبنان.

٥١- المعجم الكبير للطبراني ط كتبة ابن تيمية – القاهرة- الطبعة: الثانية

٥٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ط دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٥٣- المقدمات في الجغرافيا الطبيعية» دكتور عبد العزيز طريح شرف ط مركز الإسكندرية للكتاب.

٥٤- المكتبات والمعلومات والتوثيق أسس علمية صحيحة ومدخل منهجي عربي، د/ سعد محمد الهجرسي ط: دار الثقافة العلمية.

٥٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ل النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٥٦- المنهل الروي في الطب النبوي لابن طولون دار عالم الكتب – الرياض– الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٥٧- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي ط دار المكتبي – سورية – دمشق – الحلبوني – جادة ابن سينا.– الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٥٨- موطأ الإمام مالك الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان– عام النشر: ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م

٥٩- النهاية في غريب الحديث والأثر» مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ). الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

٦٠- نيل الأوطار» للشوكاني ط دار الحديث، مصر– الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
	المقدمة: وتحتوي على أهمية الموضوع وأسباب اختياره.	٥١٧
١	**الفصل الأول**: عناية السنة بالماء والاستشفاء به عبر الزمان.	٥٢٣
٢	**المبحث الأول**: عناية السنة النبوية بالماء.	٤٢٣
٣	**المبحث الثاني**: الاستشفاء بالماء عبر الزمان.	٥٣٢
٤	**الفصل الثاني**: **طرق الاستشفاء بالماء وأنواعها في السنة النبوية**.	٥٣٦
٥	**المبحث الأول**: الاستشفاء بماء زمزم	٥٣٦
٦	**المبحث الثاني**: الاستشفاء بالاغتسال والصب من ماء العائن.	٥٤٢
٧	**المبحث الثالث**: الاستشفاء بالرقية بالماء.	٥٤٥
٨	**المبحث الرابع**: الاستشفاء بالإبراد بالماء للمحموم.	٥٤٨
٩	**المبحث الخامس**: الاستشفاء بماء الوضوء.	٥٥٣
١٠	**المبحث السادس**: الاستشفاء بالماء مخلوطا بغيره.	٥٥٦
١١	**المبحث السابع**: الاستشفاء بماء الكمأة.	٥٥٩
١٢	**المبحث الثامن**: الاستشفاء بالماء من الخطايا والذنوب.	٥٦٣
١٣	**الخاتمة**، وبها أهم النتائج والتوصيات.	٥٥٦
١٤	**فهرس المصادر والمراجع**.	٥٧١
١٥	**فهرس الموضوعات**.	٥٧٧